كلية : الآداب

القسم او الفرع : التاريخ

المرحلة: الثالثة

أستاذ المادة : أ.م .د. نوفل حامد عبد الرحمن عمران الهيتي

اسم المادة باللغة العربية : انتشار الاسلام في افريقيا

اسم المادة باللغة الإنكليزية : Spread of Islam in Africa

اسم المحاضرة الأولى باللغة العربية: اهمية افريقيا وصلاتها القديمة بالعرب

اسم المحاضرة الأولى باللغة الإنكليزية : The importance of Africa and its ancient links to the land of the Arabs

أهمية افريقيا وصلاتها القديمة بالبلاد العربية

أولا: النطاق الجغرافي

تعنى هذه الدراسة بتاريخ منطقة واسعة من قارة افريقيا، تمتد من سواحل المحيط الاطلسي غربا الى السواحل الجنوبية للبحر الاحمر واعالي النيل شرقا، وتنحصر بين الصحراء الأفريقية الكبرى شمالا وبين الغابات الاستوائية المطيرة جنوبا. لقد عرف الرحالة والجغرافيون العرب هذا الاقاليم في زمن مبكر واليهم يعود الفضل في كشف كثير من معالمه. وقد اطلق الكتاب العرب في العصر الوسيط على هذه البلاد اسم " بلاد السودان "، واحتوت كتبهم على معلومات قيمة عن الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعمرانية فيها، كما اسهبوا في وصف مدنها وممالكها والطرق التي تربطها بالعالم الخارجي، حتى يمكن القول ان ما جاء به الكتاب العرب من معلومات عن افريقيا جنوب الصحراء او بلاد السودان يعد الاساس في معرفتنا التاريخية عن هذه المنطقة.

وتقسم بلاد السودان ثلاثة أقسام هي:

١. السودان الشرقي، ويشمل حوض نهر النيل الأعلى وروافده، وهو يشمل جمهورية السودان حتى الحدود الجنوبية لموزمبيق.

٢. السودان الأوسط، ويشمل المناطق المحيطة ببحيرة تشاد، وتعرف اليوم لجمهورية شاد.

٣. السودان الغربي ـ ويشمل المنطقة المحصورة بين المحيط الاطلسي حتى نهر النيجر شرقا ويشمل الآن السنغال ـ وغامبيا، وفولتا العليا والنيجر الاوسط.

تتميز بلاد السودان الى حد ما بملامح جغرافية ونباتية وبشرية متشابهة فهي أرض منبسطة تكسوها حشائش وتتوافر فيها الانهار ومصادر المياه الأخرى ، وقد ساعد هذا التجانس على سهولة الحركة والتنقل.

وتعد بلاد السودان (منطقة السفانا في افريقيا) من اصلح المناطق لقيام الزراعة والرعي والاستقرار السكاني في جنوب الصحراء، ولا سيما انها تقع على بعد متساو من المناطق الصحراوية شديدة الجفاف شمالا ومناطق الغابات الاستوائية ذات الامطار الغزيرة جنوبا، يضاف الى اعتدال كميات الامطار فيها وكثرة اعشابها .
اما فيما يخص المناخ، فالملاحظ انه كلما تقدمنا شمالا تقل الامطار تدريجيا ويقل معها الغطاء النباتي، لقربها من الصحراء، حيث تتميز السفانا هنا بالجفاف وبقلة النباتات. كما ان الأمطار تتناقص تدريجيا باتجاه انحدار الأرض من الغرب الى الشرق ايضا، حيث يشتد سقوط الامطار على المناطق الغربية والساحلية بينما تقل كثافة الامطار في السودان الشرقي وخاصة في المناطق الجنوبية الشرقية من اقليم بلاد السودان .

اما مصادر المياه، فان الانهار الكبيرة وروافدها تشكل موردا مائيا مهما في افريقيا جنوب الصحراء اضافة الى الامطار فهناك عدد من الانهار تخترق بلاد السودان منها نهر النيجر ونهر النيل ونهر الكونغو ـ حيث تعد من الانهار الكبرى، كما ان هناك أنهار أخرى مثل نهر السنغال ونهر غامبيا ونهر الزامبيزي.
اما التكوين البشري لبلاد السودان، فالذي يمكن قوله ان كثيرا من الاسئلة تخطر للباحث عندما يتعرض لدراسة الناس واللغات ليست الاجابة عنها سهلة ميسورة، والشيء الذي يستحق الذكر

هنا هو الفكرة التي يقول بها الكثير من علماء علم الانسان واعماله (الانثروبولوجي)، وهي ان قارة (أفريقيا وبمعنى أكثر تحديدا افريقيا الشمالية) كانت مهد الجنس البشري وأول موطن للانسان على الأرض، ولكن هذه النظرية لها ما يناقضها من الآراء والادعاءات. وعلى اي صورة كانت حقيقة اصل موطن الجنس البشري، فانه يمكن القول أن سكان افريقيا بصورة عامة هم من سلالات واصول متنوعة.

ويمكن ان نقسم أفريقيا الى قسمين: مناطق شمال افريقيا وبلاد الصحراء، وسكانها من الحاميين والساميين اصحاب البشرة البيضاء او السمراء. أما المجموعة السكانية التي تحتل القسم الباقي من أفريقيا (من جنوب الصحراء الى جنوب القارة ومن الاطلسي الى الهندي)، فهم من الجنس الزنجي أو السودان الا انهم يختلطون بالدمام الحامية ويتأثرون بالثقافة الحامية.

والحاميون (نسبة إلى حام بن نوح) هم من أوائل المهاجرين الى أفريقيا من الجزء الشمالي الغربي لأسيا. وينقسم الى قسمين الحاميون الشماليون ويدخل ضمنهم الطوارق والتبو، والحاميون الشرقيون هم نتاج تزاوج بين السامين والسود ويدخل ضمنهم المصريون والنوبيون وقبائل البجة والجالا والصومال والاحباش خزانة هي جنوب الصحراء الى كويش بين حام بن نوح . ولكن الذي يمكن قوله ان القبائل الزنجية قد عاشت في هذه المنطقة قبل ان تصلها الهجرات الحامية من الشرق.

اما الزنوج فقد تعددت الآراء حول أصلهم فقيل انهم فرع من الكوشيين او انهم نتاج من امتزاج الكوشيين بالبوشمان والاقزام . اما النظريات التي ربطتهم بزنوج الهند او اندونيسيا فهي مرفوضة اليوم. ويرى علماء الاجناس ان افريقيا الجنس الزنجي، وبخاصة سكان القسم الغربي م منها، الذين احتفظوا بخصائهم الجنسية الى قبيل ظهور الاسلام، واطلق عليهم العرب اسم السودان وعلى موطنهم ارض السودان، وهم قبائل متعددة منهم التكرور والماندنيجو والسوننكو والفلانيون.

اما زنوج شرق وجنوب افريقيا فقد اختلطوا بالحاميين وتزوجوا معهم الأمر الذي ميزهم عن القبائل الزنجية الأخرى ويطلق عليهم اسم (البانتو)، وهم ينتمون الى اسرة لغوية واحدة بعكس زنوج غرب افريقيا. وينقسم البانتو ثلاثة اقسام. الغربيون والشرقيون والجنوبيون. ويشكل البانتو الغربيون

القسم الأكبر ويسكنون غابات الكونغوا. ويعيش البانتو الشرقيون في هضاب شرق افريقيا. اما الجنوبيون فيسكنون الجزء الشرقي من جنوب افريقيا). والملاحظ ان البانتو الشرقيين كانوا أكثر من غيرهم اختلاطا بالعرب وتصاهرا معهم الامر الذي نجم عنه
جنس جديد يسمى بالجنس (السواحيلي) ويتكل اللغة السواحلية وهي خليط من لغات متعددة عربية وأفريقية وهندية.

ومن المعتقد بوجه عام ان افراد قبائل البانتو كانوا يسكنون اصلا اقليم البحيرات الكبرى، وقد وصلوا الى الغرب والجنوب ليقوموا من هناك بسلسلة من ا التنقلات تتخللها فترات طويلة. أما الزنوج في غرب القارة، فأنهم لا شك يحتلون وطنهم الحالي منذ آلاف السنيين، ولقد كان انتشارهم في البداية من ناحية الشمال، ولم يدفعهم الى الجنوب الا قسوة الصحراء . وتشير الادلة الى ان الصحراء الكبرى كانت خصبا او كانت قادرة على تهيئة اسباب العيش لعدد كبير من السكان عاشوا على تربية قطعان الماشية وكانت الزراعة ممكنة في الصحراء الكبرى حتى قبل الف سنة قبل الميلاد بل ان المراعي كانت منتشرة. وهناك راي يقول انه نظرا لان الصحراء الكبرى اخذة بالانتشار بسبب عوامل التعرية والافتقار للوسائل الفنية للمحافظة على التربة من قبل البربر المقيمين في الاقسام الشمالية منها والزنوج المقيمين في الداخل. فان الصحراء أرغمت سكانها على الانتقال فانتقل البربر الى شقة ضيقة كثيفة السكان نوعا ما على امتداد البحر المتوسط وانتقل الزنوج جنوبا الى اقليم السافانا. وفي الالف الاول قبل الميلاد نشأ ضغط سكاني جنوب الصحراء ولحسن الحظ ظهرت بين الزنوج نقنية تقوم على استخدام الحديد وبعض المحاصيل الزراعية الحديثة مما جعل بالامكان ابتداع وسائل جديدة للعيش ويبدو ان قرطاجة هي ا التي علمت اهل افريقيا صناعة التعدين. ومن الواضح ان الزنوج كانوا يستعملون الحديد حوالي ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد، وقد مكنتهم الأدوات والاسلحة الحديدية من غزو الغابات الاستوائية كما زرع الزنوج من تاريخ مبكر عدة انواع من الحبوب مثل الدخن والارز والفول السوداني كذلك البطيخ والباميا والقرع وغيرها. وقد انتقلت المحاصيل الجديد على طول الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى الى حوض النيجر مما جعل الغابة الاستوائية صالحة للسكنى.

لما كان البانتو يقيمون في ابعد الانحاء نحو الجنوب قريبين من الغابات المطيرة في مرتفعات الكاميرون فقد وصلتهم التقنيات الجديدة وحدث . بينهم انفجار سكاني كبير فتوغلوا في الغابات المطيرة التي لم يكن فيها قبل وصولهم سوى جماعات متطرفة من الزنوج الاقزام (البوشمان). وقد استطاع البانتو اخضاع الاقزام وبالتالي اجتياحهم والزحف جنوبا. لا بد من الاشارة هنا الى ان الصحراء قد اثرت في بلاد السودان. حيث ان الصحراء ـ ليست دائما ـ كما يظن البعض مظهرا للعزلة والفصل، وانما . في حالات كثيرة اداة للربط والاتصال عبر الواحات المتناثرة فيها وهكذا كان حال الصحراء الأفريقية الكبرى. فالصحراء الكبرى اليوم ارض رملية منبسطة واسعة وقاحلة، مناخها حار للغاية، وليس فيها الاينابيع قليلة وبخاصة في مناطق الجبال، ولكن هذا لم يجعل منها عقبة كأداء غير ممكنة العبور، حتى قبل استعمال الجمل، لا سيما اذا تذكرنا ان الصحراء كانت أوفر خصبا في السابق، وكانت تشقها طرق كثيرة (١) ادت دورا هاما في تاريخ بلاد السودان كما سنفصل ذلك فيما بعد. ويكفي القول هنا هذه الطرق وصل الدين الاسلامي والحضارة العربية الاسلامية الى بلاد السودان مما منح المنطقة ملامح جديدة. انه

كلية : الآداب

القسم او الفرع : التاريخ

المرحلة: الثالثة

أستاذ المادة : أ.م .د. نوفل حامد عبد الرحمن عمران الهيتي

اسم المادة باللغة العربية : انتشار الاسلام في افريقيا

اسم المادة باللغة الإنكليزية : Spread of Islam in Africa

اسم المحاضرة الثانية باللغة العربية: الاسلام في افريقيا الشرقية

اسم المحاضرة الثانية باللغة الإنكليزية : Islam in East Africa

الصلات القديمة بين بلاد العرب وافريقيا

كانت لأفريقيا جنوب الصحراء صلات تاريخية قوية مع العرب. وكان سكان السواحل وبخاصة اليمنيين والحضارمة وعرب الخليج اول رواد لا فريقيا، وبالتحديد الى الساحل الافريقي الشرقي فقد كانت مصالحهم في هذا الساحل امتدادا لتجارتهم العظيمة في الخليج العربي والبحر الأحمر والمحيط الهندي بصورة عامة.

ومن الجدير بالاشارة، انه قامت في منطقة الخليج العربي، بالتحديد في العراق اقدم الحضارات في العالم، والذي يهمنا ان هؤلاء عرفوا صناعة السفن، وقاموا برحلات بحرية أوصلتهم الى ساحل افريقيا الشرقي. وتتحدث النقوش السومرية والاكدية التي تعود الى الألف الثالث قبل الميلاد عن ا الصلات البحرية بين الجزيرة العربية والبحرين (دلمون) وعمان (ماجن) والحبشة (ملخا) . وقد عثر على نقش سومري يرجع الى حوالي عام ٢٠٥٠ ق.م يتحدث عن بناء السفن في ماجن والعلاقة هذه الأخيرة وملخا . كما ان الفينيقيين عرفوا الساحل الافريقثي الشرقي ومارسوا التجارة هناك في حدود سنة ١٠٠٠ ق. م.

اما صلات العرب بالحبشة فقديمة جدا وترجع الى عدة قرون قبل الميلاد. وهناك نظرية ان عرب الجنوب - اي عرب اليمن - هم الذين زودوا الساحل الشرقي الافريقي بالعناصر الجزيرية و (السامية). ويعتقد علاوة على ذلك ان غرب اليمن هو الوطن الاصلي للحبش الذين اسسوا "مملكة أكسوم" وكانت المدن الساحلية الحبشية تتمون مما يجلب اليها من اليمن عن طريق البحر .

لقد كان الاوسانيون (نسبة الي اوسان)، الذين اسسوا دولتهم في جنوب شبه الجزيرة العربية وبلغوا اوج الازهار في القرن السابع قبل الميلاد، قد استقروا في (ازانيا) التي يعتقد انها الارض المقابلة لجزيرتي بمبا وزنجبار ومنها توسعوا نحو الجنوب(*) وقد هذا الساحل قديما باسم الساحل

الاوساني مما يظهر مدى سيطرة اوسان عليه. وفي القرن السادس قبل الميلاد هاجر السبيون واستقروا في ارتيريا والحبشة التي سميت باسم تعزية.

وجدير بالذكر ان هجرة سبيئة أخرى : في القرن الخامس قبل الميلاد متجهة اول الامر الى ساحل البحر الأحمر ر ثم توجهت نحو الساحل الأفريقي، كما مد السبتيون طرق القوافل نحو ا المناطق الداخلية.

الملاحظ ان السبئيين الذين عرف عنهم انهم يحارة مهرة عرفوا الفلك واتقنوا اتجاهات الرياح الموسمية ونظموا رحلات بحرية وسيطروا على التجارة في بلاد العرب والشرق حتى القرن الأول قبل الميلاد حيث انتهت سيطرتهم التجارية بفعل تدهور دولة سبأ كما ان هؤلاء كانوا متقدمين حضاريا على سكان افريقيا الشرقية، ولذا نجدهم قد نقلوا الى تلك المنطقة حضارتهم المزدهرة في الجنوب العربي. وتعد. المؤثرات الثقافية ارقي اثر من كل ما ادخله السبتيون من اسباب الحضارة المادية الى افريقيا. فقد ادخلوا لغتهم بحروفها السبئية والحمرية والتي سميت بلغة " الجعيز نسبة الى قبيلة الاجاعز العربية وقد اصبحت هذه اللغة فيما بعد اللغة الرسمية لمملكة أكسوم في الحبشة وشاع استخدامها في المعاملات الرسمية والتجارية ، بل ان هذه اللغة ما زالت حتى لغة الكنيسة وهي من المؤكد اقدم لغة جزيرية (سامية) عرفت في الحبشة.

كما ادخل السبئيون مهاراتهم الزراعية والصناعية وفنون نحتهم بل عاداتهم حتى اصبح الحاميون يعبدون الالهة السبئية . وحين انهارت دولة سبأ بسب الحروب المستمر بينهم وانهيار سد مأرب عام ١٢٠ تقريبا مما سبب قلة الاراضي الصالحة للزراعة وتدهور الاقتصاد أخذ كثير من اهلها يهاجرون الى الساحل الافريقي الشرقي وينشئون مراكز تجارية لتصدير الذهب والعاج .

وتذكر الاخبار ان الساحل الأفريقي الشرقي كان خاضعاً منذ القرن الأول الميلادي لسلطة حكام عرب هم حكام سبا وذي ريدا الذين فرضوا سيطرتهم عل المنطقة بحيث دفع سكان الساحل روابط قربي وتزاوج، كما كانوا يرسلون من ميناء (مخا) في اليمن سفنا يقودها ربابنة عرب يعرفون لغة الساحل ويعرفون سكانه. وتركزت سلطة المعافر على مدينة التجارية التي تشير النصوص الى ان العرب فرضوا سيطرتهم عليها بموجب حق قديم ربما من أيام الاوسانيين .

فالعلاقة بين العرب وشرق افريقيا اذن قوية منذ قرون قبل الاسلام وان تأثيرهم واضح في هذه المنطقة. حيث كان التجار من جنوب شبه الجزيرة وسواحل الخليج العربي اقدم من وطأ هذه المنطقة، وكان قدومهم للتجارة حينا والاستقرار حينا آخر. وعلى الرغم من انهم كانوا قلة من الناس يأتون في مدد محدودة الا انه بمضي الزمن بدا اختلاطهم يشتد بالسكان. ومما يلاحظ ان القبائل الأفريقية لم تتمكن من ان تستوعب او تذيب الوافدين اليها لان مورد العرب كان منهلا لا يكاد ينقطع وترتب على ذلك ان احتفظ هؤلاء المهاجرون بسماتهم المميزة إلى درجة كبيرة. "ظل لاتصال التجاري بين شبه الجزيرة العربية وأفريقيا الشرقية ينمو ويتسع قبل الاسلام، وقد ساعدهم هدوء البحر الاحمر ويسر الملاحة فيه. كما ان الرياح الموسمية التي تهب على منطقة المحيط الهندي مكنت السفن العربية الشراعية من القيام برحلتين منتظمتين في السنة باقل مجهود، ففي الخريف تندفع الرياح نحو الجنوب الغربي فتخرج السفن من خليج عمان الى المحيط الهندي ثم تسير بمحاذاة الساحل الافريقي. وفي الربيع تندفع الرياح باتجاه شمالي شرقي بحيث تمكن السفن من العودة الى قواعدها في سواحل شبه الجزيرة العربية. ولقد ظلت الرياح الموسمية سرا من الأسرار التي احتفظ بها التجار العرب والهنود لانفسهم الى أن تمكن ملاح اغريقي في القرن الاول الميلادي من كشف اتجاه هذه الرياح. ولعل أقدم صورة وصلتنا . والترابط بين شبه الجزيرة والخليج العربي من جهة وافريقيا الشرقي من جهة اخرى عن طريق البحر الأحمر، هو ما جاء في كتاب احد الملاحين الاغريق المسمى - " الدليل الملاحي للبحر الارتيري . ويصف هذا الكتاب حالة العرب وتجارتهم في الساحل الشرقي لافريقيا، ويعجب من كثرة عدد السفن العربية ومن اختلاط العرب وتزاوجهم مع القبائل الأفريقية، كما يعرض لتعدد العناصر السكانية في وتطلعها الى التعرف على اللغة العربية ومحاولة التحدث بها لما تتيحه لهم من افاق واسعة في التجارة والتعامل

واخيرا لا بد من القول ان العرب بوجه عام، لم يتوغلوا في داخل الشرق الافريقي قبل الاسلام، انما اكتفوا بعلاقات تجارية مع الساحل حيث ان البضائع الافريقية كانت تصل الى المراكز التجارية الى

اقامها العرب على الساحل وتنقلها السفن العربية من هناك الى شبه الجزيرة والخليج العربي. الا ان الوضع تغير بعد ظهور الاسلام حيث شهدت شرق افريقيا هجرات عربية واسعة واستقراراً دائما واقامة كيانات سياسية عربية اسلامية، بل قامت مدن و امارات عربية إسلامية، وهذا ما سنحاول تفصيله في المبحث الاتي.

ومن دراسة العلاقات المتبادلة بين المنطقتين العربية والافريقية يمكن أن نشير الى تدخل الافارقة الأحباش في شؤون المنطقة العربية المقابلة منذ القرن الاول الميلادي حيث بدأت الحبشة في هذه الحقبة بتوجيه أنظارها إلى اليمن وتكررت محاولات الاحباش حتى غزوا اليمن في عهد الملك الحميري ذي نؤاس وذلك عام ٥٢٥م. والحق ان البيزنطيين هو الذين دفعوا الاحباش المسيحيين الى غزو اليمن والتوسع منها نحو الحجاز في محاولة للسيطرة على الطرق التجارية العربية . وقد حاول الاحباش ان يؤثروا في المجتمع العربي وديانته بتشييد اماكن للعبادة في اليمن في محاولة منهم لتحويل العرب عن مكة الى نجران، لكن العرب رفضوا الاحتلال الأجنبي، وشنوا حروبا وغارات على مراكز الاحباش ومعسكراتهم بحيث اضطر ابرهة قائد الجيش وحاكم اليمن الحبشي الي التراجع امام المقاومة العربية. ومن المعروف ان المصادر العربية قد ذكرت هزيمة ابرهة عند حصاره مكة في عام الفيل). ان دوافع الغزو الحبشي لليمن كانت سياسية واقتصادية وان اخذت الطابع الديني ستارا لها، وذلك ان بيزنطة سعت الى الوصول الى الطرق التجارية المؤدية الى البحر الأحمر واخيرا كان الاسلام العامل الأكبر حسما في تحويل موازين القوى حيث انهارت أمامه مملكة الحبشة كما سنفصل ذلك فيما بعد. ومن الطريف الاشارة الى ان للافارقة وجودا واستقرارا في مجتمع شبه الجزيرة العربية قبل الاسلام، بل ان الكثير منهم كان قد اعتنق الاسلام عند ظهوره . فقد استخدم سكان شبه الجزيرة العربية هؤلاء الأفارقة في حراسة القوافل والنشاطات الحربية.

كلية : الآداب

القسم او الفرع : التاريخ

المرحلة: الثالثة

أستاذ المادة : أ.م .د. نوفل حامد عبد الرحمن عمران الهيتي

اسم المادة باللغة العربية : انتشار الاسلام في افريقيا

اسم المادة باللغة الإنكليزية : Spread of Islam in Africa

اسم المحاضرة الثالثة باللغة العربية: عوامل انتشار الاسلام في افريقيا

اسم المحاضرة الثالثة باللغة الإنكليزية: Factors of the spread of Islam in Africa

محتوى المحاضرة الثالثة

التعريف بافريقيا الشرقية

حين نقول ان افريقيا الشرقية نعني بها المنطقة المسماة بالصومال وكينيا وتنزانيا وموزمبيق، اضافة الى الجزر الساحلية، وبكلمة أخرى هي المنطقة التي تمتد من الحدود الشمالية لارتريه وحتى الحدود الجنوبية لموزبيق، والتي تتاخم سواحل البحر الاحمر وخليج عدن والمحيط الهندي وتمتد في داخل القارة غربا حتى الحدود الغربية الحالية للحبشة واوغندة وكينيا وتنزانيا وموزمبيق واذا رجعنا الى المصادر الجغرافية العربية الاسلامية نجد ان افريقيا الشرقية قد قسمت الى اربعة اقسام هي:

١. بربرا، او ناحية بريرا من بلاد الزنج والحبشة وهي تعني اليوم السواحل الشرقية والشمالية الشرقية من الصومال، وتسمى ايضا بساحل بنادر.

٢. ارض الزنج، وتمتد من نهر ويبي - ـ شيبالي الى حدود تانغا جنوبا او الطرف الجنوبي لجزيرة بمبا.

٣. ارض سفالة، تبدأ من جزيرة بمبا ممتدة جنوبا ربما الى منطقة نهر لمبوبو (نهر يخترق الهضبة الكائنة اليوم الى الجنوب من الزامبيزي). ٤. ارض الواق واق وهي تسمية غامضة لارض مجهولة في جنوب ! المنطقة. اما لفظة " زنج " عند العرب، والتي كانت قد اطلقت على سكان شرق افريقيا، فقد عنوا بها البانا السود، مفرقين بذلك بينهم وبين البربر والحبشة " زنج وبكلمة اخرى فقد استخدمت لفظة " ز " عند العرب دلالة على جماعات سوداء معينة او على السود عموما .

اما الاغريق والرومان فقد اطلقوا على افريقيا الشرقي تسمية ازانيا واطلقوا على ساحل افريقيا الشرقي اسم ساحل " عزانيا " . وهذه التسمية على ما يبدو جاءت نسبة الى احدى الممالك العربية القديمة وهي مملكة عزان التي يقال انها وجدت في احدى مناطق شبه جزيرة العرب في حقبة سبقت ظهور الاسلام وهاجر قسم من سكانها الى الساحل الأفريقي الشرقي. اما سكان افريقيا الشرقية فقد ارجعهم العرب الى كوش بن سام بن نوح، حيث تفرقوا في الأرض واستقر قسم منهم في اراضي التوبه والبجة والحبشة وبلاد الزنج (٣)، ويطلق عليهم اليوم بالتعبير العلمي اسم " الكوشيين " أي من الحاميين الشرقيين. والمعروف ان سكان افريقية الشرقية اليوم ليسوا السكان الأصليين، فقد سكنتها مجموعات بشرية عدة منهم: الاقزام (البوشمان) والزنج القدامي الذين كانوا في المنطقة قبل وصول البانتو (وهم عرق نجم من تزاوج الحاميين والزنوج) ثم جاء بعد ذلك العرب. اما السواحيليون وهم معظم سكان الساحل الشرقي فهم نتاج تزاوج العرب بالبانتو، وحضارتهم ولغتهم ودماؤهم كلها ثمرة اختلاط

العرب القادمين الى الساحل وتزاوجهم مع البانتويين. فالصلات القديمة بين الوطن العربي وافريقيا الشرقية وكانوا هم رواد هذه المنطقة وكيف ان علاقات متينة قامت بين أفريقيا الشرقية والمنطقة العربية. وترسخت هذه العلاقات وزاد تأثير العرب على المنطقة بعد ظهور الاسلام، وهذا ما سنحاول تعرفه في الصفحات التالية.

ثانياً: دخول وانتشار الاسلام في افريقيا الشرقية

شهدت علاقات العرب بافريقيا الشرقية توسعا واضحا وعميقا بعد ظهور الاسلام والملاحظ ان السمة الاساسية للوجود العربي الاسلامي في افريقيا الشرقية هو استقرار العرب الدائم واقامة كيانات عربية واسلامية في المنطقة، اضافة الى ظهور مدن وامارات عربية ـ اسلامية هناك. لقد انتشر الاسلام والثقافة العربية في افريقيا الشرقية منذ القرن الأول الهجري السابع الميلادي وذلك على يد التجار والمهاجرين العرب الذين توغلوا في المنطقة اما للدعوة إلى العقيدة الاسلامية السامية او للبحث عن مصادر الرزق او هربا من اضطهاد او هزيمة سياسية يضاف الى ذلك بعض العساكر العربية التي دخلت السودان بأمر من محرري مصر وعملت على تعريف السودان الاسلام والعروبة. والجدير بالقول هنا أن للهجرات العربية المستمرة بدوافعها المختلفة الى هذه المنطقة واستقرار الجماعات العربية فيها الدور الاول والفعال في ايصال العروبة والاسلام الى شرق افريقيا. وسوف نحاول ان نتعرف وبصورة تفصيلية مسيرة الاسلام في اجزاء عديدة من افريقيا الشرقية، منها الساحل الأفريقي الشرقي وسودان وادي النيل والحبشة.

الاسلام في الساحل الأفريقي الشرقي

يشمل هذا الساحل المنطقة الممتدة من ساحل بنادر في الصومال شمالاً إلى ساحل موزمبيق، بل حتى مصب نهر الزامبيري جنوبا، فضلا عن الجزر المواجهة لهذا الساحل. من الصعب جدا اعطاء خطوط عريضة لكل حياة العرب ـ المسلمين وفكرهم وحضارتهم في الساحل الأفريقي الشرقي لانه موضوع متعشب وواسع واستغرق عدة قرون، لكننا سنكتفي بالمعالم الرئيسية لذلك مؤكدين على محورين:

١. الهجرة العربية الاسلامية الواسعة وتأثيرها.

٢. التجارة ودورها في اقامة الوجود العربي الاسلامي. والملاحظ ان طبيعة الوجود العربي في الساحل الشرقي الافريقي يتميز بان الاستقرار كان في المدن والموانئ التجارية التي انتشرت على طول الساحل وفي الجزر المقابلة له. ولذا نرى ان كثيرا من مدن الساحل كان قد اسسها العرب المسلمون.

ا

س: الوجود الرسمي للإسلام ؟

خذ الاسلام ينتشر في الساحل الشرقي منذ صدر الاسلام، فالرواية المحلية المتداولة في الساحل تؤكد ان الاسلام انتشر في المنطقة منذ ايام الخليفة عمر بن الخطاب (رض) وفي ايام الدولة الأموية نجد اهتماما واضحا بالساحل الشرقي لافريقيا من اجل حماية التجارة في البحر الاحمر والمحيط الهندي، حيث عهد الامويين الى تأسيس محطات تجارية لهم على الساحل الافريقي الشرقي لتأمين تجارتهم. فقد ارسل الخليفة عبد الملك بن مروان جماعة من العرب من اهل الشام للاقامة في الساحل، فأسس هؤلاء مدينة لامو ومراكز تجارية أخرى، كما انهم اتخذوا لهم قاعدة في جزيرة زنجبار ومنها انطلقت نشاطاتهم التجارية في المحيط الهندي ، وافلحت هذه المجموعة في اخضاع الساحل لنفوذ الأمويين وظل كذلك حتى نهاية دولتهم. اما ا في ايام الدولة العباسية، فقد توجه نشاطهم الى تأمين رحلاتهم بالبحار الشرقية فيحولوا طرق التجارة من البحر الاحمر الى الخليج العربي والعراق، ففقد البحر الأحمر اهمية وكثيرا من نشاطه، ولم يسترجع فعاليته التجارية الا في اواخر القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي بسبب ما تعرضت له التجارة العربية في الخليج العربي من المخاطر نتيجة الاحداث السياسية في العراق ومنطقة الخليج هذا كله لا يمكن القول إن العباسيين الاوائل لم يهتموا بالساحل الافريقي الشرقي، فهناك روايات تؤكد اهتمام الخليفة المنصور والرشيد بالساحل وارتباطه بالخلافة العباسية، بل ان الرشيد عين حاكما من قبله على مدن الساحل

أ ـ الهجرة العربية الاسلامية الى الساحل الافريقي الشرقي: جذب موقع الساحل الأفريقي الشرقي الكثير من المهاجرين العرب، فالبعد عن مركز الخلافة جعله محطة انظار الفارين من اضطهاد او اندحار سياسي. كما ان معرفة العرب القديمة بالمنطقة قد شجعت الراغبين في الهجرة اليه. يضاف الى ذلك سهولة وامانة الوصول ولا سيما ان العرب قد عرفوا طرق الملاحة وقوانينها قبل غيرهم. وعلاوة على ذلك فان التجارة مع هذا الساحل قد جذبت الكثير من العرب المسلمين الى الهجرة والاستقرار في المراكز التجارية الساحلية من اجل كسب الرزق جراء ممارسة التجارة الدائمة فيه هذه المنطقة. والملاحظ ان الاستقرار العربي الاسلامي في الساحل بدأ في ساحل بنادر ثم مضى العرب المسلمون في توسيع رقعة استقرارهم الى ان وصلوا الى ابعد الاماكن المعروفة انذاك على الساحل الشرقي لأفريقيا، ثم اقامتهم في الجزر الساحلية المقابلة له. وجاءت نتائج الهجرة سريعا حيث انتشر الاسلام في الساحل وشاعت الثقافة والحضارة العربية الاسلامية على طوله. منهم ان موضوع الهجرات الاسلامية الى ساحل افريقيا الشرقية ما زال يكتنفه الغموض بسبب صعوبة وضع جدول تقويمي متتابع لها، وبسبب تضارب الروايات وتناقص الاخبار لا سيما المحلية المروية والتي دونت فيما بعد في مخطوطات افريقية سواء باللغة

العربية او السواحلية. الا اننا نستطيع ان نقول ان الهجرات العربية بدات متواضعة في الاعداد وكلما اقام المهاجرون لانفسهم موضع قدم جلبوا بعدهم اعداداً أكثر .

حتى جاءت وقت اصبح فيه ساحل افريقيا الشرقي منطقة عربية اسلامية فعلاً. ومما يلحظ ان الاستقرار كان يبدأ عادة بالساحل ثم يتوغل العرب الى الداخل رويدا وريدا حتى يتصلوا بالشعوب الأفريقية الداخلية ان معظم المهاجرين العرب، بعد الاسلام كانوا من اهل الخليج العربي وهذا ليس بأمر مستغرب فقد ارتبطت شرقي افريقيا بالخليج العربي بروابط عريقة، وظلت العلاقة البشرية مستمرة، كما ادت التجارة دورا مهما في تنمية هذه العلاقة. بدأت الهجرات من مناطق الخليج العربي الى الساحل الافريقي الشرقي منذ القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي وزادت حتى بلغت اوجها في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، واهم هذه الهجرات هي:
المعتقد أن أول هجرة للعرب المسلمين الى سواحل افريقيا الشرقي هي هجرة عمانية وفدت في النصف الاول من القرن الأول الهجري / السابع الميلادي، وتقول الروايات انها هجرة لآل الجلندي من قبيلة الأزد حكام عمان الذين اضطروا بعد صراع مع الخلافة الأموية الى الهجرة مع قومهم الى ساحل افريقيا الشرقي. النشاط التجاري لهذه الجزيرة اثراً ذا شأن في التاريخ العربي الاسلامي. وقدمت هجرات عربية أكبر الى الساحل الشرقي لافريقيا منها هجرة قبيلة البتاوة من حضرموت الى مدينة باتا. والملاحظ ان عرب حضرموت كان لهم اثر بارز في عمليات الاتصال بالساحل الأفريقي الشرقي، وكان لهم دور متميز في ا انسحبوا بعد ذلك الى الداخل الافريقي، نتيجة ضغط الهجرات المتعاقبة عليهم وفي نهاية القرن الثالث الهجري / الميلادي وصلت الى ساحل افريقيا الشرقي هجرة عربية أخرى من الخليج العربي من منطقة الاحساء. وكانت هذه الهجرة متكونة من جماعة كبيرة من قبيلة الحارث بقيادة سبعة اخوة لاختلافهم مع حاكم الاحساء آنذاك. . وبعد استقرار بنو الحارث في ساحل افريقيا الشرقي عملوا على تدعيم سيطرتهم في المنطقة حيث أسسوا مدينتي مقاديشو وبراواة .
وكانت هذه الهجرة بزعامة سليمان بن سعيد من آل الجلندي، ولا نعرف على وجه الدقة المكان الذي استقر فيه هؤلاء الأزد، الا انه من ا المفترض، استنادا الى بعض الروايات انهم نزلوا في باتا (احدى جزر ارخبيل لامو)، بل تذهب هذه الروايات الى القول ان سليمان واخاه سعيدا هما اللذان اسسا مدينة باتا ، شمالي كينيا، وكانت في هذا الساحل واستقرت اعداد كبيرة منهم بالمنطقة . تعاقبت بعد ذلك الهجرات العربية، ففي القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي وفدت إلى سواحل افريقيا الشرقية هجرة عربية إسلامية من اليمن عرفت بالزيدية، وهم على ما يبدو من اتباع زيد بن علي.

ولقد بقي هؤلاء الزيديون مدة في ساحل بنادر، ثم كما ان القبائل النبهانية التي فرضت سيطرتها على عمان في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، قد وصلت الى ساحل افريقيا الشرقي واستقرت في مدينة باتا بعد خلافاتها مع اليعاربة. واستطاعت الاسرة النبهانية ان توحد معظم ساحل افريقيا الشرقي تحت لوائها وشهدت باتا ازدهارا تجاريا واسعا . ومن الجدير بالذكر ان الهجرات العربية الاسلامية لم تنقطع أبدا، فكأن إغراء الساحل الافريقي الشرقي في غنائه وقربه من بلاد العرب وبعده عن الصراع السياسي في الدولة العربية الاسلامية، ووجود استقرار عربي فيه، كل ذلك شجع استمرار الهجرات اليه حتى القرن الخامس عشر الميلادي حين وصول المستعمرين البرتغاليين اليه.

كلية : الآداب

القسم او الفرع : التاريخ

المرحلة: الرابعة

أستاذ المادة : أ.م .د. نوفل حامد عبد الرحمن عمران الهيتي

اسم المادة باللغة العربية : انتشار الاسلام في افريقيا

اسم المادة باللغة الإنكليزية : Spread of Islam in Africa

اسم المحاضرة الرابعة باللغة العربية: نشأة الممالك الاسلامية في الساحل الافريقي الشرقي

اسم المحاضرة الرابعة باللغة الإنكليزية : The emergence of Islamic kingdoms in the East African coast

نشأة الممالك الاسلامية في الساحل الافريقي الشرقي

كان من نتائج الهجرات العربية الاسلامية الى ساحل افريقيا الشرقي فأتي في مقدمتها: تأسيس مراكز ومدن على طول هذا الساحل وفي الجزر المقابلة له وبالداخل ايضا. وسرعان ما استطاعت هذه المدن والمراكز العربية الاسلامية ان تفرض سيطرتها على المنطقة، وان تحقق نجاحا وازدهارا كبيرين، اذ كانت على جانب كبير من التنظيم والاستقرار؛ واسهمت في الانتعاش الاقتصادي والحضاري لتلك المنطقة، نذكر من اهمها ما يأتي: -

١ - مقاديشو.

من العرب كانت مقاديشو عاصمة (الصومال في الوقت الحاضر) أول مدينة عربية تأسست على ساحل افريقيا الشرقي. وذلك عام ٢٩٥هـ/ ٩٠٧م، اسسها جماعة ، ينتسبون إلى قبيلة الحارث العربية التي كانت مواطنها ما بين البحرين والاحساء. هبطت هذه الجماعة التي كانت قدمت بثلاث سفن بزعامة سبعة اخوة على الساحل الشرقي لافريقيا واسست مدينة مقاديشو، كما اسس هؤلاء مدينة براوة أيضا .

وبسبب نمو حركة التجارة في هذا الساحل نجد ان مدينة مقاديشو قد احتلت مركزا تجاريا ممتازا بوصفها اهم ميناء تبحر السفن التجارية منه اليه ولا سيما في القرن السادس والسابع الهجريين / الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين.

وشهدت مدينة مقاديشو هجرة عربية أخرى هي هجرة بني مجيد من المنذرية في اليمن في القرن ٦هـ ١٢ م . وبذلك يمكننا القول اعتمادا على ما ذكره ياقوت الحموي ان "سكان مقاديشو عرب اقحاح "

بلغت مقاديشو اعلى مكانة لها في القرن ٧هـ / ١٣ ودعيت " بمدينة الاسلام". حيث سيطرت على معظم الساحل واصبحت من اعظم المراكز الاسلامية وضمت جوامع كثيرة).

اقام العرب في هذه المدينة حكما قائما على الشورى تطبق فيه الشريعة الإسلامية العادلة ويعرض لنا ابن بطوطة الذي زار مقاديشو الكيفية التي يدار بها الحكم حيث يقول:
" واذا كان يوم السبت يأتي الناس الى باب الشيخ، فيقعدون في سقائف خارج الدار، ويدخل القاضي والفقهاء والشرفاء والصالحون والمشاريخ والحجاج الى المشور الثاني، فيقعدون على دكاكين خشب معدة لذلك. ويكون القاضي على دكانه وحده. ثم يجلس الشيخ بمجلسه، ويبعث الى القاضي فيجلس عن يساره، ثم يدخل الفقهاء، فيقعد كبراؤهم بين يديه.. ثم يدخل الشيخ الى داره، ويقعد القاضي والوزراء وكاتب السر واربعة من كبار الامراء للفصل بين الناس واهل الشكايات. فما كان متعلقا بالاحكام الشرعية حكم فيه القاضي، وما كان من سوى ذلك حكم فيه اهل الشورى، وهم الوزراء والامراء، وما كان مفتقرا الى مشاورة السلطان كتبوا اليه، فيخرج لهم الجواب من حينه على ظهر البطاقة بما يقتضيه نظره، وتلك عادتهم" وهكذا نجد أن هذا النص يقوم دليلا قويا على مدى تأثير العرب المسلمين في الساحل الافريقي الشرقي لا سيما في ميدان الحكم والادارة. وسلطان مقاديشو الذي قابله ابن بطوطة عام ٧٣١هـ/ ١٣٣٠م هو ابو بكر بن الشيخ عمر، وهو وان كان كلامه بالمقدشية، الا انه كان يعرف العربية التي كانت لغة التخاطب والتعامل الرسمي في مقاديشو. وهو من اسرة فخر الدين التي حكمت مقاديشو في القرنين الثامن والتاسع الهجري / الرابع والخامس عشر الميلادي. وقد شهدت مقاديشو في ايامهم ازدهارا للثقافة العربية الاسلامية، كما أصبحت هذه المدينة الكبيرة اهم مركز تجاري للعرب في الساحل الافريقي الشرقي، ومن هذا المركز بدا العرب بالانتشار جنوبا على طول الساحل ناقلين معهم حضارتهم الى المجتمعات الأفريقية الاخرى .

٢ ـ باتا: اسس العرب في الساحل الافريقي الشرقي مدينة اخرى هي مدينة باتا. وقد اشارت الكثير من الروايات المحلية السواحيلية الى ان باتا اسست عام ٦٩هـ/ ٦٨٩م على يد الأخوين سعيد وسليمان ابني الجلندي من عمان، كما ذكرنا انفا. وتشير وراية أخرى الى ان تأسيس باتا يرجع الى عهد عبد الملك بن مروان الذي شهد عهده ، تأسيس العرب لعدة مدن على ساحل افريقيا الشرقي مثل مالندي وزنجبار ومنبسه ولامو وكلوة . وهناك نص . طريف عن تأسيس مدينة لامو في مخطوطة (خبر اللامو) الباقري اللاموي جاء فيه " ان سكان لامو الاوائل هم من العرب الذين جاءوا من مدينة دمشق في سوريا، وان الشخص الذي ارسلهم هو عبد الملك بن مروان... وبعد هؤلاء جاء عرب اخرون وذلك بعد ان وصلهم اخبار المهاجرين العرب الى الساحل السواحلي، وان زعيم هؤلاء العرب الذين جاءوا هو الحاج سعيد '

ومن هذا النص يتبين لنا ان العرب المهاجرين من اهل الشام وسعيد الجلندي وقومه هم من اوائل من أستقر في لامو من العرب. وهنا يجب ان نشير الى ان هناك ترابط تاريخي وجغرافي بين لامو وباتا، فقد كانت لامو العاصمة التجارية في مجموعة جزر لامو بينما كانت باتا العاصمة السياسية. وان العرب من اهل عمان كانوا ـ ومنذ عام٦٩ هـ/ ٦٨٨ ـ قد سكنوا باتا. ولكن وجودهم فيها بقي بطيئاً ومتدرجا، حيث قدمت هجرات عربية أخرى اليها منها هجرة قبيلة البتاوة الحضرية والتي استقرت في باتا القرن ٢هـ/ ٨م كما أشرنا آنفاً والمعتقد ان هذه المنطقة ظلت تشهد هجرات ممتابعة اليها، مما ادى الى ازدهار قوتها وظهورها على الساحل كمدينة قوية وخاصة في نهاية القرن ٦هـ/ ١٢ م وبداية القرن ٧هـ/ ١٣م، حيث ظهرت القبائل النبهانية وفرضت سيطرتها عليها. في عام ٦٠١هـ/ ١٢٠٣م م ة قدمت هجرة عربية كبيرة من اقليم عمان تزعمها احد الحكام النبهانيين وهو سليمان بن سلفر النبهاني بعد انهيار دولتهم على يد اليعارية الى الساحل الشرقي لافريقيا واستقرت في باتا، وتزوج هذا الحاكم النبهاني من ابنة حاكم باتا العربي البتاوي، وأصبح حاكما على المنطقة، واصبحت باتا نفسها قد اصبحت

مركزا للسلطة النبهانية التي فرضت سيطرتها على ساحل افريقيا الشرقي. وغدت باتا في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي اقوى دولة على الساحل وانتعشت فيها حركة التجارة. واستمرت باتا تحت سلطة النبهانيين الى ان انتهى الأمر بهم - بعد مراحل طويلة من القوة والضعف - بالخضوع الى السلطنة العربية في زنجبار .

٣ - زنجبار:

جزيرة قريبة من الساحل الأفريقي، وكانت قديما مقر ملوك الزنج . وصل العرب الى هذه الجزيرة منذ وقت مبكر في القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي، حيث يخبرنا المسعودي ان اول استقرار للمسلمين فيها كان "في مبدا الدولة العباسية"(٨)، وقد استقروا فيها وبسطوا سيطرتهم عليها. والذي يبدو ان معظم الهجرات الى هذه المنطقة جاءت من البصرة والكوفة حتى يؤكد لنا ياقوت الحموي ان سلطان المنطقة كان عربيا من الكوفة . لقد حكم هذه الجزيرة والجزيرتين المجاورتين لها يميا ومافيا امراء عرب مسلمون منذ القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، كما نجد ان سكان زنجبار كانوا عربا، وكانت تجارتها بيد العمانيين والسرافيين ، ويبدو ان زنجبار كانت محطة تجارية مهمة تربط أفريقيا بالخليج العربي، وقد عاش سكانها حياة مترفة. كما اصبحت مركزا مهما لنشر الاسلام في المنطقة. ودليلنا على ذلك كثرة المساجد فيها التي قامت بدور مهم في نشر العقيدة الاسلامية والثقافية العربية الاسلامية.

٤ - بومباسا:

ويسميها الجغرافيون العرب (منبسة) وهي احدى المدن التي اسسها العرب المسلمون في الساحل بل تعد واحدة من اهم المدن في الساحل الأفريقي الشرقي واقدمها. وقد بلغت اوج ازدهارها في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي وحكامها عرب مسلمون وكذلك سكانها. وتبدو الحياة العربية في مومباسا واضحة احيائها، وخاصة في شوارعها وطراز بنائها العربي .

٥ ـ ماليندي:

عربي تقع جنوبي مومباسا على الساحل الافريقي الشرقي (وتقع الآن في كينيا). سكانها العرب المسلمون، وحكمها سلطان . منذ القرن ٤هـ/ ١٠م وبلغت مكانة مرموقة في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي، بوصفها من اهم المراكز التي يتردد عليها التجار، ومارس اهل ماليندي التجارة وكانوا وسطاء بين سكان الداخل الوثنيين وبين التجار القادمين الى ماليندي من عرب وهنود وغيرهم).

٦ ـ سفالة:

تقع في اقصى الساحل الأفريقي الشرقي، فيما يسمى اليوم بموزمبيق وقد اخبرنا المسعودي ان مراكب العمانيين من الازد والسيرافيين كانت تصل اليها. وهي على حد راية ـ من أقاصي بلاد الزنج التي عرفها ووصلها العرب وسفالة هي اقرب مدينة الى منطقة الذهب في شرق افريقيا وقد سكنها العرب بسبب تجارتهما النشيطة

واختلطوا بسكانها المحليين حتى شاعت اللغة العربية بينهم. ويعود نشاط التجار العرب في سفالة الى اوائل القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي وذلك من اجل الحصول على الذهب والمتاجرة به. ويبدو ان السكان المحليين قد رحبوا بالعرب أما بداية تأسيس الحكم العربي فيها فيعود الى القرن السادس / الثاني عشر الميلادي، حيث شهدت سفالة اوج ازدهارها ٧ـ٨ هـ / ١٣ـ١٤ م.في القرنين والملاحظ أن سفالة ادت دورا حيويا بوصفها مدخلا للممالك الأفريقية الداخلية حيث كانت تزودها بالبضائع التي تطلبها مما يقدم التجار العرب المسلمون مقابل حصولهم على المواد الثمينة كالنحاس والذهب والعاج عن طريق المقايضة ولذا نجد ان صراعا طويلا دار بين المدن ودول الساحل الأفريقية الشرقي من اجل السيطرة عليها.

ظلت سفالة تحتل أهمية تجارية في الساحل الأفريقي الشرقي حتى مجيء البرتقاليين في القرن الخامس عشر الميلادي، حيث أعجب هؤلاء بما وجدوا فيها من مستوى عمال في الملبس والمأكل

ورخاء الحياة، وبما كانت عليه المدينة من تنظيم ونظافة. إذ يقول الرحالة البرتغالي وارث باربوسا في ذلك " ما ان وصلت سفن فاسكودي جاما الى سفالة حتى فوجئت مفاجأة لم تكن متوقعة فقد لقي البرتغاليون ما لم يكن في حسبانهم.. لقوا موانئ تطن كخلايا النحل ومدن ساحلية عامرة بالناس وعالما تجاريا اوسع من عالمهم

كلية : الآداب

القسم او الفرع : التاريخ

المرحلة: الخامسة

أستاذ المادة : أ.م .د. نوفل حامد عبد الرحمن عمران الهيتي

اسم المادة باللغة العربية : انتشار الاسلام في افريقيا

اسم المادة باللغة الإنكليزية : Spread of Islam in Africa

اسم المحاضرة الأولى باللغة العربية: العوامل التي مكنت العرب من التجارة مع افريقيا

اسم المحاضرة الأولى باللغة الإنكليزية : Factors that enabled Arabs to trade with Africa

محتوى المحاضرة الخامسة

- التجار واثرها في انتشار الاسلام في ساحل افريقيا الشرقي:

شهد الساحل الافريقي حركة تجارية قديمة نشيطة، كان القائمون عليها العرب القادمين من شبه الجزيرة العربية على الاخص، حاملين معهم المواد التي يرغب فيها سكان الساحل الشرقي لافريقيا، ليأخذوا بدلها منتجات الشرق الأفريقي الذهب والعاج بالدرجة الاولى وغيرها من البضائع. والحق ان التجار العرب هم اقدم من أقام في الساحل الأفريقي الشرقي وصبغوه بالصبغة العربية منذ قرون طويلة. هناك جملة عوامل مكنت العرب من التجارة مع افريقيا الشرقية منها:

١ - قرب الساحل الافريقي الشرقي منهم، ، فالمساحة المائية الضيقة نسبيا الى تفصل الشاطئ الافريقي الشرقي عن جنوب شبه الجزيرة العربية شجعت العرب على هذه المنطقة. كما ان موقع بلاد العرب الجغرافي المهم المتحكم بطرق التجارة العالمية الحيوية التي تمر بها ابتداءا من الصين والهند وسواحل المحيط الهندي والبحر الاحمر، حتى تصل شمالا إلى البحر المتوسط ومنها الى موانئ اوربا، قد مكن العرب من القيام بنقل بضائع ومنتجات سكان الساحل الافريقي الشرقي الى الاسواق العالمية التي كانت تطلبها، كما استطاعوا من ربط مصادر الانتاج ي افريقيا الشرقية بالشرق الأقصى

٢ – معرفة العرب الجيدة بالفلك والأنواء مكنتهم من قيادة سفنهم بأمان الى شرق افريقيا، كما ان الظاهرة الطبيعية، الرياح الموسمية، التي تميزت بها منطقة المحيط الهندي منذ القدم ولحد الآن قد مكنت العرب من التجارة مع شرق أفريقيا. شهر تشرين الثاني من كل سنة تبدأ هذه الرياح بالهبوب من الشمال والشمال الشرقي فتنطلق السفن العربية معها من الخليج العربي وسواحل شبه الجزيرة العربية الى ساحل افريقيا الشرقي. اما في شهر نيسان من كل سنة فتنعكس العملية، حيث تبدأ فقي هذه الرياح بالهبوب من الجنوب والجنوب الغربي فيخرج العرب بسفنهم التجارية معها من شرق افريقيا للعودة الى أوطانهم، ولقد مكنتهم هذه الرياح من السيطرة

التجارية على معظم منطقة المحيط الهندي.

٣- لم يكتف العرب قبل الاسلام بدور الوسيط التجاري في نقل المنتجات والبضائع من الشرق الأفريقي واليه، بل اهتموا بايجاد مراكز او محطات تجارية لهم في الساحل الأفريقي الشرقي لتجميع المواد التي يحصلون عليها من داخل افريقية، وبصورة تدريجية تحولت هذه المراكز الى اماكن استقرار مؤقت او دائم للعرب يقيمون فيها لمتابعة اعمالهم التجارية. وبعد ظهور الاسلام ازداد نشاط العرب التجاري مع شرق أفريقيا وتوسع، لا سيما بعد نشاط حركة التجارة في منطقة الخليج وشبه الجزيرة العربية في القرنين الثاني والثالث الهجريين / الثامن والتاسع الميلاديين. وكانت حصيلة ذلك نشوء مدن تجارية عربية متعددة على طول الشاطئ الأ ان التاجر اذا ما حل في مدينة فسرعان ما يلفت الانظار بكثرة وضوئه وانتظام اوقات الصلاة والعبادة، وبما يتجلى به من سمو عقلي وخلقي ليفرض احترامه والثقة

به على الاهالي الوثنيين، وهكذا انتشر الاسلام بين . سكان افريقيا الشرقية " ويبدو ان عملية نشر الاسلام في هذه المنطقة كانت تدريجية وبمحاذاة طرق التجارة ومراكزها، حيث استطاع التجار والمهاجرون العرب المسلمون الذين استقروا في الساحل الافريقي الشرقي من الاختلاط بسكان المنطقة بسرعة واكتسبوا صداقتهم وتزاوجوا معهم واثروا بهم وحولوهم الى الاسلام. وهكذا تحولت المراكز التجارية المنتشرة على طول الساحل الى الاسلام، ومنها بدأ بالانتشار بصورة تدريجية نحو المناطق الداخلية لشرق افريقيا. اما فيما يخص التنظيم التجاري الذي استخدمه التجار العرب المسلمون في الشرق الأفريقي فالمعروف أن نظام المقايضة كان شائع الاستخدام ومن ! لهذا النظام أسساً محددة ونظماً متعارفاً عليها بين التجار العرب وسكان المنطقة. وفي سبيل تنظيم التجارة الواردة الى ساحل افريقيا الشرقي، فقد فرضت مدنه ضرائب على المواد التجارية الواردة اليها والصادرة منها وكانت المواد المتأتية من الضرائب، على ما يبدو سببا في غنى مدن الساحل وحياة الترف والبذخ التي عاشت فيها. أما أهم السلع التي اعتاد التجار العرب جلبها الى الساحل الأفريقي الشؤقي ومقايضتها بالسلع والمواد التجارية الخام الموجودة في فهي السكاكين والخناجر والفؤوس والرماح والاقمشة والخرز والحلي البسيطة التي رغب الأفارقة في الحصول عليها، والأواني الفخارية والزجاجية احيانا، وكل ما كان مرغوبا فيه المعتقد ان المنطقة، ومطلوبا عند سكان شرق افريقيا.

العرب عن منطقة سفالة وهي من أما البضائع التجارية التي قدمتها افريقيا الشرقية للتجار العرب فهي: الذهب، وهو اهم مادة طلبها التجار من شرق افريقيا، وتوجد مناجمه في منطقة سفالة حيث يعد ذهبها من افضل الانواع ، وقد تحدث الجغرافيون اقصى بلاد الزنج ويبدو انها جنوب موزمبيق الحالية. لم تكن سفالة ذاتها مركز مناجم

الذهب وانما هي مركز تجمعية فقد كان ينقل اليها مناطق الداخل سفالة تحمله مراكب البحارة العرب التجارية الى مراكز طلبه في الاقاليم العربية الاسلامية. ويبدو ان المراكز العربية في الساحل الافريقي الشرقي استطاعت السيطرة على تجارة ذهب سفالة وتقاسمت زعامة هذه التجارة بالتناوب. وكان ازدهار هذه المدن يعتمد بالدرجة الاولى على سيطرتها على تجارة الذهب. والملاحظ أن التجار العرب كانوا يحملون بضائعهم المختلفة إلى سفالة حيث يبدلونها. بالذهب، والراجح ان ابناء القبائل الأفريقية الوثنية كانوا يحملون الذهب الى سفالة حيث يبادلونه بالبضائع التي يحتاجونها لا سيما الاقمشة والخرز والاواني، لذا فان اهل سفالة أدوا دور الوسيط في تجارة الذهب بين التجارة العرب والوثنيين الافارقة من سكان المناطق الداخلية الذين امتلكوا مناجم الذهب

اما العاج فكان منتوجا افريقيا مهما، لان افريقيا الشرقية عدت دائما المصدرالمهم للعاج والافارقة لم يستخدموا الفيلة للركوب او الظهور في المهرجانات اوالحروب كما فعل اهل الشرق حيث عدت الفيلة مراكب للخلفاء والقادة، لكن الافارقة كانوا يقتلون الفيلة للحصول على انيابها العاجية التي صدرت الى الشرق الاقصي وبلاد العرب (١). وقد اشتهر عاج افريقيا بجودته وكان الافارقة يدفنون الانياب لتكسب لونا أقرب إلى الحمرة وهو أحسن انواع العام . ويبدو ان العرب لا سيما اهل عمان كانوا يستوردون عاج افريقيا ثم يصدرونه الى الهند والصين حيث ولع به هؤلاء لتزيين الاثاث والتوابيت والاسرة ولصنع الامشاط وقوائم السيوف وقطع الشطرنج والنرد.

ومن أهم مراكز تجمع وتصدير العاج في الساحل الشرقي لافريقيا مقاديشو وماليندي، كما عرفت زنجبار بتجارة العاج ايضا. اما سفالة فقد كانت تعد سنوسا كميات هائلة من العاج للتجار القادمين اليها.

وشكلت افريقيا بما فيها الساحل الافريقي الشرقي مورداً مهماً لكثير من انواع الأخشاب التي تطلبها الطبقة المترفة في المشرق وفي الشرق الأقصى. وقد عرفت انواعا نادرة مرغويا فيها من الاخشاب مثل الانبوس والصندل والساج فالابنوس كان عالي القيمة ويستخدم للاثاث والابواب والشطرنج ويدل استخدامه على الترف والبذخ، وكانت مقاديشو هي المزود للتجار بهذا النوع من الخشب. اما زنجبار فقد صدرت خشب الصندل وهو خشب عطري يطلبه المترفون. وكان هذا النوع من الخشب من الي صادرات لأمر ومومبا ما لكثرة الأشجار فيهما.

أما العبير الذي رقب التجار العرب في الحصول عليها من ساحل افريقيا الشرقي، فكان موجوداً من بحر الزنج والمعروف ان البحر يفتقد به إلى الساحل. ولسكان الساحل الذي يوجد فيه الصبر طرف معينة يجمعونه بها، فقد كانت نجم نجميه يدريونها على طلب العنبر ثم يركونها في الليالي المقمرة، ويمرون بها على الساحل، فحالما تراها النجب تبرك فينتبه اصحابها الى وجود العنبر (١). كما ان هناك نوعا من الحيتان يسمونها (اوال) تبتلع

العنبر فتموت وعندئذ تطفو على الماء، وسكان السواحل يعرفون الاوقات التي تظهر فيها هذه الحيتان المبتلعة للعنبر(٢). وقد وجد العنبر في عدة مناطق من الساحل الافريقي الشرقي منها لامو وماليندي ومقاديشو وزنجبار، وقد حمل من هذه المراكز التجارية الى العراق وسواحل الخليج العربي والجزيرة العربية حيث يكثر طلبه. والعنبر من بضائع الترف التي حفلت بها خزائن الخلفاء والاغنياء واتخذت منه العطور والحلي.

وهناك مواد تجارية عديدة أخرى صدرت من الساحل الافريقي الشرقي منها الحيوانات التي اكثرت دول العالم من طلبها لاستخدامها في شتى الأغراض، والحديد والاصواف وريش النعام وغيرها.

ج- الأثر الحضاري للعرب المسلمين في الساحل الأفريقي الشرقي بعد كل الذي عرضناه في قضية انتشار الإسلام والوجود في الساحل الأفريقي الشرقي يحق لنا أن نسأل ما الأثر الحضاري الذي تركه استقرار العرب والمسلمين من هذا الساحل؟ هذا السؤال لا بد في البلده من القون ان تأثير الوجود الحربي في الساحل الأفريقي الشرقي لم يقتصر على تكوين مجتمع منفصل عن السكان الأصليين أو مجرد شرائح من الطبقات العليا جاءت من اجل هدف عابر وظلت غربية عن أهل البلاد، ذلك أن يضع بنات من السنين مرت على التراكم السكاني الاجابة عن .

كلية : الآداب

القسم او الفرع : التاريخ

المرحلة: الثالثة

أستاذ المادة : أ.م .د. نوفل حامد عبد الرحمن عمران الهيتي

اسم المادة باللغة العربية : انتشار الاسلام في افريقيا

اسم المادة باللغة الإنكليزية : Spread of Islam in Africa

اسم المحاضرة السادسة باللغة العربية: الاثر الحضاري للعرب المسلمين في الساحل الافريقي الشرقي

اسم المحاضرة السادسة : باللغة الإنكليزية : The cultural impact of the Muslim Arabs on the East African coast

ج- الاثر الحضاري للعرب المسلمين في الساحل الافريقي الشرقي :

بعد كل الذي عرضناه في قضية انتشار الاسلام والوجود العربي في الساحل الافريقي الشرقي . يحق لنا ان نسأل ما الاثر الحضاري الذي تركه استقرار العرب

والمسلمين من هذا الساحل؟

للإجابة عن هذا السؤال لا بد في البدء من القول ان تأثير الوجود العربي في الساحل الأفريقي الشرقي لم يقتصر على تكوين مجتمع منفصل عن السكان الأصليين او مجرد شرائح من الطبقات العليا جاءت من أجل هدف عابر وظلت غريبة عن اهل البلاد. ذلك ان بضع مئات من السنين مرت على التراكم السكاني العربي في هذه المنطقة كان اشبه بعملية اندماج بشرية وحضارية تركت آثارها البعيدة في المعطيات الحضارية لمستقبل هذا الجزء من افريقيا. واذا صح لنا ان نسال هل اقتصرت عملية التأثير على طرف واحد فكأن العرب هو المؤثرون والافارقة هم المتأثرين او بمعنى آخر هل كانت عملية الاحتكاك احادية الطرف؛ فان الجواب ان الزخم الحضاري الذي تركه العرب والمسلمون عبر مئات السنين كان الاضخم من ناحية التبادل الحضاري، ومع . ذلك فان افريقيا اعطت ما عندها للقادمين العرب وفتحت لهم ذراعيها وقدمت منتجاتها، وبعض معالم حضاراتها القديمة وتقاليدها الراسخة، وهناك راي يذهب اليه المختصون يقول، أن الاسلام بما ينطوي عليه من انفتاح وسماحة سمح لبعض الاعراف الافريقية القديمة بان تستمر ما دامت غير متعارضة مع مبادئ العقيدة الاسلامية، وهذا يذكرنا بكل مجتمع غريب من بلاد العرب انتقلت اليه الحضارة الاسلامية. ولكن هذا ينبغي القول ان سمة المجتمع الأفريقي الشرقي الساحلي من الصومال حتى الموزمبيق تحولت الى شيء جديد حقا، لغة ودیناً وحضارة وان ظلت بعض مع تقاليده القديمة قائمة.

والواقع ان اول واهم اثر للوجود العربي في ساحل افريقيا الشرقي هو تغلب الاسلام، دينا وطريقة حياة ونظاما على الحياة القديمة في مجتمع الساحل. في البدء بقي الاسلام محتفظا بطابعه الذي كان عليه في شبه الجزيرة

العربية، لكنه بمرور الزمن، ويكثرة الاختلاط والتزاوج مع سكان الساحل تأثرت نظم الحياة العربية الاسلامية، ولكن لا يغرب عن بالنا ان ما اخذه العرب المسلمون كان انتقائيا ومنسجما مع مبادئ العقيدة الاسلامية. والواضح ان الاسلام انتشر على يد العرب في الساحل الشرقي بطريقة سليمة وتدريجية مما ساعد على نجاح تعزيز الثقافة والحضارة العربية في هذه المنطقة، كما كيف نفسه مع الثقافة والبيئة الاجتماعية التي حل فيها مما ادى الى ظهور انماط جديدة في اللغة والثقافة والجنس ايضا هي خليط من العربية والافريقية عرفت بـ... (السواحلية) .

كما ان تدفق الهجرات العربية الى الساحل الأفريقي الشرقي واستقرارهم بشكل دائم به ادى الى ظهور تغيرات واسعة في اوضاعه السياسية والاجتماعية والاقتصادية. فقد حملت هذه الهجرات معها اضافة إلى دينها، نظمها وثقافتها ولغتها، وهكذا امتصت افريقيا الشرقية اصول الحضارة العربية الاسلامية.

ان الاختلاط والاندماج التدريجي الذي حدث بين العرب وسكان الساحل الافريقي الشرقي والذي اخذ مداه في عمق المجتمع الأفريقي وفي حقبة زمينة طويلة، نجم عنه نشوء الجنس السواحلي الذي يحمل صفات وعادات وتقاليد عربية وافريقية. ويعود نشوء الجنس السواحلي الى لاوقت مبكر وهو ثمرة عمليات المصاهرة التي تمت على مدى طويل بين قبائل البانتو الأفريقية وبين المهاجرين العرب الذين استقروا في أفريقيا الشرقية، وقد اعتنق السواحليون الاسلام وصاروا يقلدون العرب في كل ما يتصل بحياتهم الاجتماعية .

وبمرور الزمن وباستمرار عملية التفاعل والاختلاط بين العرب وسكان افريقيا الشرقية نشأت لغة جديدة هي ا اللغة السواحلية " " ـ هذه اللغة تستخدم الحروف العربية، وهي خليط من اللهجات الافريقية، وخاصة البانتوية، واللغات العربية والهندية وغيرها.

وتتميز هذه اللغة بكثرة المفردات العربية فهي فيها أكثر منها في آية لغة أخرى، لا سيما المصطلحات الخاصة بالعقائد والشعائر الدينية، والالفاظ الخاصة بالشؤون التجارية والفنية وغيرها. فاللغة العربية اعطت صفة التقدم للغة البانتوية البدائية التي كانت محصورة في نطاق فكري ومادي محدود، واللغة دائما دليل على روح العصر فكلما كثرت فيها المصطلحات التي تدل على قيم رفيعة وتعبر عن تقنيات جديدة كان المجتمع أكثر تقدما.

ومن الجدير بالذكر ان اللغة السواحلية انتشرت انتشارا واسعا نتيجة لازدياد الحركة التجارية في الساحل الافريقي، فالتجارة قد استدعت واستوجبت تبادلا واسع النطاق على المستوى العالمي، مما جعل اللغة السواحلية تستعير من اللغة العربية كل ما هو ضروري ولازم لعملية التبادل التجاري العالمي.

فاللغة السواحلية غنية بمفردات استعارتها من العربية ، وهذا الأمر لم يمنع من ظهور اختلاف في بعض الألفاظ وطريقة نطقها من منطقة إلى أخرى، كما أصبح لها قواعد خاصة في الأدب والشعر. ولا بد من القول ان استخدام

اللغة السواحلية في افريقيا الشرقية قد مكن العرب من سهولة وسرعة التفاهم مع القبائل الافريقية، وبالتالي التأثير الحضاري فيهم.

وظهر التأثير العربي الاسلامي ايضا في طراز بناء المدن والعمائر في الساحل الأفريقي الشرقي، وهناك اوصاف تفصيلية كثيرة لها تجعلنا نقول انها عربية في تخطيطها وفن عمارتها والمواد المستخدمة في بنائها مما تشهد على عظمة الفن الاسلامي في ساحل افريقيا الشرقي.
كما ادى استقرار العرب المسلمين في شرق افريقيا وانتشار الاسلام في المنطقة الى ظهور ضرورة تهيئة مراكز العبادة للمسلمين فكان بناء المساجد في كل مدينة من مدن الساحل الافريقي الشرقي. بل كان عدد المساجد الكبيرة في المنطقة يدل على المعماري العربي هي من اعتناق المنطقة للاسلام منذ القرنيين الثالث والرابع الهجريين / التاسع والعاشر الميلاديين، وعلى الطابع العربي الاسلامي الذي اتخذته تلك المساجد، فالمساجد الكبيرة المزخرفة بنقوش اسلامية جميلة تجدها في مقاديشو وزنجبار ومومبا سا وغيرها من المدن السواحلية..
اما عن مظاهر الحياة الاجتماعية في الساحل الأفريقي الشرقي، فعلى الرغم من ان معلوماتنا قليلة عن هذا الجانب، الا انا نستطيع القول ان التأثير العربي الاسلامي يبدو واضحاً فيه. فالملابس التي ارتداها سكان المنطقة . طراز اللباس العربي الاسلامي نفسه من حيث أنواعه ومواد صنعه ونقوشه. كما نجد التأثير العربي واضحا في طعام السكان في الساحل من حيث مواده وطرق صنعه والادات المستخدمة في عمله تهيئته وتناوله.

كما كان للاستقرار العربي المستمر والطويل في ساحل افريقيا الشرقي اثره في ادخال محاصيل زراعية ذات اصل اسيوي كالرز والقطن وقصب السكر والذرة والنباتات العطرية وغيرها، اذ لا بد للمراكز والمدن التي انشأها |العرب في المنطقة واستقروا فيها ومارسوا نشاطاتهم التجارية والسياسية منها من ان تؤمن حاجاتها الاقتصادية عن طريق انتاج زراعي ثابت لمحاصيل السوق في الاقل جاء اهتمام عرب الساحل بالزراعة وادخلوا انواعا جديدة من المزروعات اليه. فقد زرعوا في مدنهم اضافة الى الحبوب، الفواكه مثل البرتقال والرمان والأترج، زرعوا الخضروات ايضا.

ولا بد من كلمة أخيرة عن أثر الثقافة العربية الاسلامية في شرق افريقيا. فلقد أدت المساجد دورا مهما وفعالا في هذا الجانب. فالعرب المسلمون الذين استقروا المنطقة وجهوا اهتمامهم إلى الدراسة والتعليم فنشروا القراءة

والكتابة بين سكان المنطقة، وبنوا المدارس من اجل هذا الغرض، اضافة الى الحلقات الدراسية التي كانت تقام في الجوامع.

كان من نتاج اهتمام سكان الساحل بأمور التعليم ظهور مجموعات من المهتمين بشؤون العلم والمعرفة، منهم الفقهاء والمختصون بشؤون الشريعة الاسلامية، ومنهم المهتمون بشؤون الادب العربي، كما ظهرت في ساحل افريقيا الشرقي مجموعة من المؤلفات باللغة العربية منها (السلوة في تاريخ كلوة) و (تاريخ باتا) وغيرها. وفوق هذا كله فقد كان للعلماء والفقهاء والقضاة مكانة .مرمو قة في المجتمع السواحلي.

كلية : الآداب

القسم او الفرع : التاريخ

المرحلة: السابعة

أستاذ المادة : أ.م .د. نوفل حامد عبد الرحمن عمران الهيتي

اسم المادة باللغة العربية : انتشار الاسلام في افريقيا

اسم المادة باللغة الإنكليزية : Spread of Islam in Africa

اسم المحاضرة السابعة باللغة العربية: معاهدة البقط وعلاقة العرب بالبجيين والنوبيين والفونج

اسم المحاضرة السابعة باللغة الإنكليزية The Treaty of Al-Baqt and the relationship of the Arabs to the Buji, the Nubians and the Funj

محتوى المحاضرة السابعة

ثالثا: العرب المسلمون في سودان وادي النيل (معاهدة البقط)

ان صلة العرب بهذه المنطقة، لا سيما منطقة النوبة، ضاربة في القدم، ومما يؤكد ذلك التشابه العرقي واللغوي بين بعض شعوب هذه المنطقة وسكان شبه الجزيرة العربية، بل ان البحر الأحمر الذي فصل بين افريقيا وآسيا لم يشكل في أي وقت من الاوقات عائقا للاتصالات العربية بالشعوب التي تقطن الساحل الغربي للبحر الاحمر . وذكر المقريزي ان ملوك المقرة المسيحية، التي كانت تسيطر على جزء كبير من سودان وادي النيل منذ القرن السابع الميلادي حتى القرن الخامس عشر الميلادي، كانوا من اصل عربي حميري .. ومهما كانت صحة هذه الانباء فانها تعكس في اقل تقدير صدى هجرة حميرية مكثفة . من جنوب شبهه الجزيرة العربية إلى أفريقيا.

ومن الجدير بالذكر ان شبه الجزيرة العربية لم تكن المصدر الوحيد للهجرات العربية إلى حوض النيل وانما كانت هناك طرق أخرى وصل العرب عبرها الى هذه المنطقة، منها الباب الشمالي (مصر) الذي يفضي الى مجرى النيل، والطريق الشمالي الغربي او الطريق الليبي. اضافة الى الطريق الشرقي (الجزيرة العربية) الذي كان المصدر المباشر للهجرات العربية الى هذه المنطقة اما الطريق من مصر فليس اقل اهمية بوصفه مصدرا في نشر الحضارة العربية الاسلامية في منطقة سودان وادي النيل.

ومهما كانت الطرق والمنافذ التي وصل العرب الى سودان وادي النيل فان الوجود العربي ازداد كثافة بعد ظهور الاسلام وفتح العرب لمصر. وكان سكان هذه المنطقة قبل الاسلام من النوبين والبجيين في قسمها الشمالي، بينما غلب على الاقسام الجنوبية والجنوبية الغربية خليط من الشعوب السوداء شبه الزنجية. أما الهيمنة في هذه المنطقة فكانت لثلاث ممالك مسيحية يمتد نفوذها السياسي من الشلال الاول منطقة سنار على ضفاف النيل الازرق، وأولى هذه الممالك مملكة المريس او نوبا ديا وعاصمتها فرص، والثانية مملكة المقرة (النوبة السفلى) وعاصمتها دنقلا . اما المملكة الثالثة فهي مملكة علوة وحاضرتها سوبا. والمعروف ان منطقة . وادي النيل قد

دخلتها المسيحية عن طريق مصر حيث انتشر فيها المذهبان الملكاني واليعقوبي، وما ان حل القرن السادس الميلادي حتى كانت المسيحية قد ضربت بجذورها في المنطقة وصارت الدين الرسمي لهذه الممالك الثلاث .

فما ان ظهر الاسلام ودخلت الجيوش العربية الى مصر لتحريرها حتى وقفت عند ابواب النوبة. ومن اجل تأمين حدود مصر الجنوبية من هجمات النوبة والبجة الذين اعتادوا شنها أمر الخليفة عمر بن الخطاب (رض) واليه على مصر عمرو بن العاص يوضع حد لها فارسل سرية بقيادة عبد الله بن سعد بن ابي سرح . سنة ٢١هـ/ ٦٤١ م فوضعوا حاميات بين مصر والنوبة لمنع النوبيين من الدخول الى مصر. ولما تولى ولاية مصر ارسل حملة الى النوبة سنة ٣١هـ/ ٦٥١م فوصلت الى دنقلا عاصمة النوبة ودارت معركة لم تنته الى نتيجة فاصلة، الا ان استخدام العرب المسلمين للمنجنيق وهو سلاح لم يعرفه النوبيون قد ادخل الرعب في صفوف الاخيرين فطلبوا الصلح. اما المسلمون فقد كانت المقاومة للنبويين وبعدهم عن ديارهم سبباً في ميلهم الى قبول الصلح، هذا اضافة الى ان هدف العرب في هذه الحقبة كان وضع حد لهجمات النوبة على صعيد مصر فقط. كل هذه الأسباب جعلت ابن ابي سرح يرحب بعقد الصلح مع النوبيين، وعرف ذلك الصلح في الروايات التاريخية وكتب الفقه بعهد النوبة ومعاهدة البقط .

وكانت هذه المعاهدة معاهدة سياسية وتجارية بين مصر الاسلامية وممكة النوبة المسيحية اشترط فيها عدم اعتداء اي طرف على الطرف الآخر، وبمبدأ حرية التجارة للعرب وتبادل المنافع التجارية بين المسلمين والنوبيين حيث تعهد النوبيون بحماية مصادر الذهب مقابل ترك العرب لهم دون تهديد لأمنهم، كما كفلت المعاهدة حق الترحال لرعايا كل منها في البلد الآخر، مجتازين غير مقيمين مع مراعاة حرية العبادة. وقد فتح هذا التعهد بلاد النوبة للتجار المسلمين الذين استطاعوا خلال حركتهم التجارية وتوغلهم النشيط الى اعماق بلاد النوبة وما وراءها ان ينشروا عقيدتهم. وعلى الرغم من ان هؤلاء التجار كانوا منصرفين لاعمالهم التجارية الا انهم كانوا روادا في نشر العقيدة الاسلامية لا سيما ان المعاهدة سمحت لهم بتشييد مجد للمسلمين في النوية السفلي، وهذا مهد السبيل الى نشر الاسلام، كما ان التجار العرب قد استطاعوا باقامتهم في هذه المنطقة من اكتساب المعرفة باحوالها وطبيعتها فكانوا بذلك قد مهدوا الطريق لهجرة القبائل العربية باعداد كبيرة بمرور الزمن .

ان معاهدة البقط هي التي ت تحكمت في العلاقة بين مصر وبلاد النوبة مدة تقارب ستة قرون، دونما تغير جوهري في مضمونها، وضمن هذه المدة، وفي ظل هذه الاتفاقية، تسربت المؤثرات العربية الاسلامية في هدوء

وبطء الى بلاد النوبة الأمر الذي ادى في النهاية الى تغيير مصير سودان وادي النيل السياسي والاجتماعي والديني.

وعلى الرغم من ان الاتفاقية لم تنص على السماح للمسلمين بالاستقرار في بلاد النوبة، فقد اخذت بعض القبائل العربية في شراء الاراضي في منطقة النوبة (ولا سيما في منطقة المريس) منذ اوائل القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، وعلى الرغم من احتجاج ملك النوبة المتواصل، فقد بدات القبائل بالاستقرار والتزاوج مع سكان المنطقة، واليها يرجع الفضل في نشر الاسلام بين النوبيين. ولعل في مقدمة هذه المجموعات كانت قبيلة بني الكنز وهم فرع من قبيلة ربيعة العربية العدنانية المشهورة، حيث وطد هؤلاء نفوذهم في اسوان في القرن الخامس للهجري / الحادي عشر للميلاد واخذوا في التوغل جنوبا معتمدين في توسع نفوذهم السياسي على مصاهرة السكان المحليين من اهل النوبة والبجة. وقد استطاع بنو الكنز عن طريق اما عن مصاهرتهم للاسرة الحاكمة في دنقلا (عاصمة النوية السفلي) من اعتلاء عرش النوبة فيما بعد، ونشر الاسلام في المنطقة .

مما تجدر الاشارة اليه، انه على الرغم من ان انتشار الاسلام الواسع لم يتم الاعقب سقوط ممالك النوبة المسيحية، الا ان وجود هذه الممالك لم يحل دون انتشار الاسلام وانتقال المؤثرات العربية الى السودان، ولا سيما ان الهجرة العربية كانت تأتي من الشمال فتجتاز النوبة بمسيحيتها وجنادلها وتدخل منطقة الاقاليم الجنوبية، كما كانت الهجرات العربية تقدم من جهة البحر الأحمر ؟ كما اشرنا سابقا.

اما عن علاقة العرب المسلمين بالبجة، فالذي يبدو ان البجة كالنوبة اعتادوا على شن غزوات على صعيد مصر كلما واتتهم الفرصة. وقد افلح المسلمون من ردعهم ثلاث مرات بطريقة حاسمة، فيروى ان عبد الله بن سعد بن ابي سرح قد اخضع البجة المجاورين لاسوان واسلم بعضهم. وفي بداية القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي اصطدم بهم عبيد الله بن الحبحاب خازن بيت المال في مصر وفرض عليهم معاهدة بعد أن هزمهم. وقد وضعت هذه المعاهدة حدا لتحرشات البجة على صعيد مصر وساعدت في الوقت نفسه على فتح تلك المنطقة لدخول المؤثرات العربية الاسلامية وخاصة الوافدة عبر البحر الأحمر .

وفي عهد الخليفة العباسي المأمون كرر البجة اعتداءهم على مصر عبد الله بن الجهم عامل الخليفة على مصر وفرض على قائدهم كنون بن عبد العزيز معاهدة ثانية تؤكد الالتزام السابق وتضيف ضرورة محافظة البجة على المساجد التي فحاربهم المنطقة انشأ اول حتى شيدها المسلمون وهذه الاتفاقية تشابه من وجوه كثيرة معاهدة البقط التي عقدت . مع مملكة النوبة المسيحية . وفي اثناء حملة عبد الله بن الجهم هذه اكتشف العرب الذهب والزمرد في ارض المعدن من بلاد البجة فتدفق الناس في اعداد كبيرة من مصر بصورة متتابعة، ولعل اهم القبائل

العربية التي هاجرت واستقرت حول مناجم الذهب عرب جهينة وربيعة ومضر واستطاع احد العرب وهو عبد الله بن عبد المجيد العمري الذي اشتغل بالتعدين في منطقة البجة ان يزيد من نفوذه في ا امارة عربية في شمال شرق السودان - في منطقة وادي العلائي . وهكذا يبدو ان هذه الحملة اثرت تأثيرا كبيراً في النفوذ الذي بلغه في العرب في بلاد البجة. ومما لا شك فيه ان استقرار بعض الجماعات العربية واستغلالهم مناجم الذهب في العلاقي ادى الى النشاط والازدهار التجاري في المنطقة وان قبيلة ربيعة قد اصبح لها نفوذ في ارض المعدن بعد ان صاهرت البجة وقوت من نفوذها في المنطقة، كما قامت بدور هام في الاسلام ايضا .

استمر اهتمام العرب المسلمين بارض المعدن وازدادت الهجرة الى المنطقة ومنها توغل العرب جنوبا، بل يمكن القول ان النشاطات الاقتصادية والمتمركزة في ارض البجة كانت بمثابة المراحل الاعدادية التي مهدت السبيل الى الهجرة العربية الى السودان .
ظلت معاهدة البقط، تنظم المسلمين في النوبة امدا طويلا، ولم تحاول الدول المتعاقبة على مصر ان تتدخل في الشؤون الداخلية لمملكة النوبة المسيحية. ظل النوبيون محتفظين باستقلالهم حتى قيام دولة - العلاقة بين مصر وبلاد السلطة والجيش المماليك في مصر عام ١٢٥٠م. ففي خلال هذه المدة قام صراع بين المماليك والقبائل العربية في مصر، وذلك لأن المماليك ابعدوا القبائل العربية عن وقدموا الاتراك عليهم. واستمر هذا الصراع حتى القرن الخامس عشر الميلادي وكانت أهم نتائجه التي تهمنا هجرة الكثير من القبائل العربية من مصر وسيرها جنوبا الى أرض السودان ولذا فقد شهدت النوبة تدفق الهجرات العربية اليها، ولم ينعزل المهاجرون عن اهالي المنطقة وانما اختلطوا بهم وتزاوجوا معهم مما ترتب على ذلك قوة المؤثرات العربية عليهم .

كما شهد عصر المماليك تدخلا عسكريا في شؤون بلاد النوبة حيث ارسلت عدت حملات من قبلهم الى المنطقة. وقد ادت حملة العام ١٢٧٦ الى نهاية الاستقلال السياسي المستقل لبلاد النوبة، وصارت دولة تابعة لسلطان مصر حيث أصبح حاكمها (واسمه شكندة) يحكم بلاد النوبة نيابة عن سلطان مصر. وكانت الانقسامات الداخلية في مملكة النوبة المسيحية قد ادت الى سير هذه المملكة نحو الزوال ايضا. واخيرا وفي عام ١٣٢٣ اعتلى عرش النوبة كنز الدولة (من بني كنز من بني ربيعة) فصارت المملكة عربية اسلامية، وانتهى بذلك مملكة النوبة المسيحية التي كانت تحول دون دخول العرب الى السودان عن طريق وادي النيل بأعداد كبيرة .

بسقوط مملكة النوبة المسيحية اندفع العرب من صعيد مصر نحو الجنوب واتجهت مجموعات أخرى عبر الصحراء الشرقية الى ارض البجة التي كانت مسرحا لنشاط اقتصادي عربي ادى ال انتشار الاسلام فيها ثم ساروا جميعا حتى بلغوا ارض البطانة والجزيرة وعبر بعضهم النيل الى كردفان وسارت موجات اخرى من المهاجرين العرب الى شاطئ النيل الغربي فوادي المقدم اي وادي الملل حتى كردفان ودارفوا .

كان للهجرات العربية التي كان لها الدور في زوال مملكة النوبة المسيحية الأثر نفسه في القضاء على مملكة علوة المسيحية ايضا. ترجع صلة العرب بهذه المملكة إلى القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي حيث تردد العرب الى سوبا (عاصمة علوة) بقصد التجارة. وفي القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي اقامت مجموعات عربية في هذه المنطقة جذبتها المراعي الخضراء الواسعة في علوة الى الاستقرار فيها، وقد ازدادت هجرات العرب الى هذه المنطقة بعد حملات المماليك العسكرية إلى بلاد النوبة. ولما كثرت أعداد العرب الوافدين الى مملكة علوة وازدادت قوتهم وتم اتحاد المجموعات المهاجرة تحت زعامة احد العرب المسمى عبد الله جماع، شيخ قبيلة العبدلاب العربية، استطاعوا القضاء على مملكة علوة المسيحية وذلك في اواسط القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي لم ينفرد العبدلات طويلا بحكم البلاد اذ شاركتهم جماعة اخرى عرفت باسم الفونج وفدت من اعالي النيل الازرق، واستطاع الفونج واصلهم عرب تزوجوا من ملوك السودان ان يؤسسوا سلطنة اسلامية في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي، بزعامة (عمارة دنقش).

اتخذ عمارة دنقش من سنار عاصمة لحكمه وأصبحت معظم الاراضي الواقعة بين النيلين الابيض والازرق الى حدود الحبشة تابعة له. اما خليفة عبد العبدلاب فقد اتخذ من قرى عاصمة المشيخة التي عرفت باسم مشيخة العبد لاب وبقي في الوقت نفسه وكيلا لعمارة دنقش على السودان الشمالي حتى حدود مصر وقد كان للفونج دور نشيط في نشر العقيدة الاسلامية باساليب سليمة وتحويل القبائل الوثنية الافريقية الى الاسلام بالتدريج.

والجدير بالملاحظة ان القرن السادس عشر الميلادي كان يعد بحق عصر تأسيس السلطنات الاسلامية في سودان وادي النيل (الفونج - العبدلات - دارفور) وهذه الاخيرة اسسها سليمان سولونج العربي، وهو من قبائل بني هلال رحل الى منطقة دارفور من بحيرة تشاد وتزوج ابنة حاكم المنطقة الوثني، ثم اعتلى عرش البلاد بعد ذلك واقام سلطنة اسلامية فيها امتدت ما بين عام ١٦٣٨-١٨٧٥ م. توثقت علاقة السلطنات والممالك التي نشأت في سودان وادي النيل بمصر والمغرب وبغداد وتوافد كثير من السودانيين على مراكز التعليم الاسلامية لاستكمال تعليمهم.

كما اسهمت الطرق الصوفية بنشاط كبير في تثبيت دعائم الاسلام في تلك الجهات وبرزت كثير من الطرق الصوفية كالخلواتية والقادرية والشاذلية والميرغنية. كما ظهرت حركة علمية في عهد دولة الفونج كان مصدرها مصر والحجاز وبلاد المغرب والعراق وغيرها، بفعل هجرة العلماء المسلمون الى مناطق سودان وادي النيل حيث يجدون رعاية من حكامها، فكان لهذا اثره الكبير في نشر الثقافة العربية الاسلامية في تلك البلاد

كلية : الآداب

القسم او الفرع : التاريخ

المرحلة: الثامنة

أستاذ المادة : أ.م .د. نوفل حامد عبد الرحمن عمران الهيتي

اسم المادة باللغة العربية : انتشار الاسلام في افريقيا

اسم المادة باللغة الإنكليزية : Spread of Islam in Africa

اسم المحاضرة الثامنة باللغة العربية: الوجود العربي الاسلامي في الحبشة (اثيوبيا)

اسم المحاضرة الثامنة باللغة الإنكليزية: The Arab Islamic presence in Abyssinia (Ethiopia)

رابعاً: الوجود العربي الاسلامي في الحبشة (إثيوبيا)

ترجع علاقة الحبشة بشبه الجزيرة العربية وبصفة خاصة منطقة اليمن، إلى عصور قديمة فلا يكاد يفصل بينهما سوى البحر الأحمر الهادي الضيق، ولذلك فان قيام علاقات بين منطقة اليمن، ومنطقة الحبشة كان أمرا طبيعياً.
وفي هذا المجال يذكر بعض الباحثين ان كلمة " الحبشة" ومنها " الأحباش " يرجع اصلها الى قبيلة " حبش " العربية، وهي اقوى القبائل العربية التي هاجرت من جنوب بلاد العرب بين القرنين العاشر والسابع قبل الميلاد، واستقرت في افريقية ولم يأت القرن الرابع الميلادي غلب اسم هذه القبيلة العربية على المنطقة التي استوطنتها في شمال الحبشة، بل على السكان انفسهم . ثم اطلق العرب اسم " الحبشة " على المنطقة الممتدة : النيل غربا والبحر الاحمر شرقا ومن النوبة شمالا الى ما وراء خط الاستواء جنوبا كما أن لغة جعز أو لسان جمعز، وهو الاسم الذي عرفت به اللغة الحبشية القديمة، ينسب الى قبيلة الاجاعز (الأجوازيان) وهي ا احدى القبائل العربية التي هاجرت من اليمن الى الحبشة واستقرت في الجانب الشمالي الشرقي من الحبشة ولم تلبث أن بسطت نفوذها على سائر البلادة). كما ان اشتقاق القلم الحبشي من القلم الحميري يمكن ارجاعه الى اتصال اليمنيين بالأحباش قديما

واذا كان الباحثون قد اختلفوا بشأن حجم الهجرات العربية الى الحبشة، فقد اتفقوا جميعا على ان هناك هجرات عربية شملت اعدادا من التجار استقروا على الشاطئ الغربي للبحر الأحمر، في منطقة الحبشة، وبمرور الزمن تزايدت اعدادهم، وكونوا مراكز تجارية في مناطق متفرقة، وهذه المراكز ساعدتهم على الاختلاط بسكان المنطقة وتربط الأساطير الحبشية بين قيام مملكة اكسوم والعلاقة بين الحبشة واليمن، اذ تقول هذه الاساطير ان البيت المالك في الحبشة من اقدم البيوت في العالم، اذ ينحدر من سليمان ملك بيت المقدس في القرن العاشر قبل الميلاد حين زارته ملكة سبا بلقيس (ماكيدا عند الاحباش)، وانجبت منه ابنا هو منليك الأول رأس الاسرة المالكة ومؤسس دولة اكسوم في القرن العاشر قبل الميلاد . وتفترض هذه الاسطور ان هذه المملكة كانت تحكم كلا من اليمن واكسوم . وعلى الرغم ان معظم ماورد في هذه الاساطير لم تثبت صحته تاريخيا فانها تدل على قدم العلاقات بين الحبشة واليمن.

ومهما يكن من أمر فان اتساع مملكة اكسوم وازدهارها ونشاط تجارتها ادى الى تقوية علاقاتها بجنوب شبه الجزيرة العربية، ومن اجل المحافظ على تجارة الحبشة والسيطرة علي الطريق البري بين اليمن والشام قام ملوك اكسوم بعدة غزوات لليمن.

واخيرا قام الأحباش، كما أشرنا انفا باحتلال القسم الجنوبي من شبه الجزيرة العربية (اليمن) مدفوعين بدوافع اقتصادية مغلفة بالمظهر الديني" ، وقد قاوم العرب هذا الاحتلال بشدة.

وكان لظهور الاسلام في القرن السابع الميلادي. بداية لصفحة جديدة في تاريخ العلاقات بين العرب والحبشة.

وكما معروف ان أولى العلاقات العربية الاسلامية مع الحبشة حدثت على عهد الرسول (صل الله عليه وسلم) حينما اشار في بداية الدعوة على أتباعه بالهجرة الى الحبشة بعد ان شاهد الاذي الشديد الذي كان يلحق بهم.

والمعروف أيضا أن المهاجرين العرب المسلمين الأوائل قد وجدوا في الحبشة خير رعاية من حاكمها النجاشي، وكان هذا السبب، على ما يبدو قد اثر في مسلك المسلمين فيها اذ اتخذ طابعا سلميا متعدد الاتجاهات انتهي الى ظهور عدة ممالك اسلامية في الحبشة. وبمضي الزمن اخذ النشاط العربي الاسلامي بالازدياد حتى تم للمسلمين) تجارة المنطقة. وقد ساعد انهيار مملكة اكسوم، مع نمو النشاط العربي، الى سيطرة العرب المسلمين على الموانئ المهمة في المنطقة. واخذت صلة العرب تتوطد بالحبشة اثر الهجرات التي تتابعت بعد ذلك خاصة بعد ان تمكن العرب من الاستقرار في بعض سواحل البحر الاحمر ، وتأسيسهم لبعض المراكز التجارية التي اصبحت وسيلة لتوغل كثير من الجماعات الاسلامية الى داخل هضبة الحبشة.

والملاحظ ان المراكز العربية الاسلامية بالحبشة، شأنها في ذلك شأن بقية المراكز العربية على طول الساحل الشرقي لأفريقيا قد اتسمت بالطابع السلمي التجاري بصفة عامة، ولم تكن في نشأتها وتوسعها عسكرية أو سياسية في بادئ الأمر، ذلك ان الحبشة كانت موطن الهجرة الاسلامية الأولى.

نشطت الهجرات العربية إلى منطقة الحبشة بفعل الاوضاع السياسية والاقتصادية في الدولة العربية الاسلامية، وكانت هذه الهجرات تحدث بصفة مستمرة وفي اعداد يسيرة وقد توغلت بشكل سلمي حاملة معها عقيدتها الاسلامية وثقافتها العربية. وكان المهاجرون العرب من مختلف الطبقات فمنهم زراع اليمن، ومنهم تجار حضرموت وعمان والحجاز، كما تفاوتوا ايضا في درجة غناهم، وفي الاسباب التي دفعتهم الى الهجرة. فاتجه الزراع الى حيث مناطق الخصب والمطر فاستقروا شمال الهضبة ووسطها، واتجه الرعاة الى سفوح الهضبة الشمالية والي حدما في صحراء الدناكل والى سفوح الهضبة الشرقية من جهة الجنوب، والي صحراء الاوجادين. اما التجار فمكثوا في المناطق الساحلية ذات الاتصال السهل بالداخل حيث الأسواق والسلع التجارية التي تحملها سفنهم يضاف الى ذلك ان الكثير من اللاجئين السياسيين الهاربين من اضطهاد او هزيمة سياسية كانوا يلجأون

الى الحبشة لبعدها عن مراكز الدولة العربية الاسلامية، نذكر منهم الكثير من الامويين بعد نهاية دولتهم على يد العباسيين.

كان لاستقرار العرب المسلمين في منطقة الحبشة اثر كبير في قيام تكتلات اسلامية في أماكن متفرقة اخذت تنمو مستقلة الواحدة عن الأخرى. وبعد عدة قرون تحولت هذه التكتلات الى كيانات سياسية يتاخم بعضها بعضا من دون اتحاد يجمعها. من بين هذه الكيانات نذكر: (مملكة شوا) التي ظهرت في صميم الهضبة الحبشية في منطقة شوا الشهيرة ومن دارسة لوثيقة عربية عثر عليها المستشرق الايطالي (شيرولي E. cerulli) عام ١٩٢٦ ان هذه المملكة قامت في نهاية القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي سنة (٢٨٣هـ/ ٨٩٦م) تنتسب ! ، الى قبيلة مخزوم القريشية التي ينتمي اليها خالد بن الوليد القائد العربي وعلى الرغم من ان الوثيقة حددت عام ٢٨٣هـ/ ٨٩٦م أول سنة لانشاء هذه المملكة غير انها لم تبين كيفية نشوئها ولا تاريخ حكامها الأوائل

هي دام حكم هذه المملكة العربية اربعة قرون عاشها في شبه عزلة عن العالم الخارجي، وربما يعزى السبب في عزلتها الى انها نشأت في منطقة خصبة معتدلة المناخ هيأت لها كل متطلبات الحياة في ذلك العصر . وفي السنوات الأخيرة من حكم مملكة شوا، بدأت عوامل الانحلال تظهر فيها بسبب المنازعات الداخلية وتفرق زعمائها. ومما زاد في الوضع سوءاً نشوء مملكة اسلامية فتية تلك ه (مملكة وفات) استطاعت اسقاط مملكة شوا عام ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م، بعد أربع عمليات عسكرية متتالية ومدن سلطانها من السهول الى الهضة وورثت مركز الزعامة بين الممالك الاسلامية في الحبشة كما سنرى.

أما الممالك الاسلامية التي ظهرت في شرق الحبشة فقد كانت كما وصفها العمري في كتابه " المسالك والممالك"، وأكد ذلك القلقشندي في كتابه صبح الاعشى على أنها " تمثل طرزا اسلامية "(٤). وربما وصفت كذلك لانها كانت كالطرز تحيط بهضبة الحبشة، او لأنها تمتد على ساحل البحر الاحمر كالطراز (٥). ويشمل الطراز الأسلامي سبعة كيانات سياسية مستقلة بعضها عن البعض وهي:

مملكة (وفات) وتسمى (اوفات) ويقال لها (جبرة) ايضا. اسمها قوم من قريش من بني عبد الدار ومن بني هاشم من ولد عقيل بن ابي طالب. ولم تبرز هذه السلطنة الا في نهاية القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، عندما اصبح سلطانها اقوى من السلاطين المسلمين المجاورين له والذين دانو له بالولاء والاحترام . لقد تحكمت مملكة وفات في الطريق التجاري الذي يربط المناطق الداخلية من الحبشة بالبحر الاحمر عن طريق ميناء زيلع الذي قام بدور كبير في التجارة العالمية في تلك الحقبة.

اما مملكة (هدية) فتقع غرب ممالك ساحل الحبشة الاسلامية شمل حكامها مساحة واسعة ولكن اكثر رعاياه من الوثنيين، الا انهم سرعان ما تحولوا الى الاسلام. ويوصف حكامها بانهم من الملوك الاقوياء بين الممالك السبعة وبان لهم عسكرا قويا وكبيراً ، ومملكة دورا (أو أواروا) التي تقع جنوب مملكة اوفات، ورغم صغرها فقد اشتهرت برجالها الاشداء في الحرب، وعمل حكامها على نشر الاسلام في البلدان المحيطة بهم

اما بقية الممالك السبعة فهي: مملكة ارابيني ومملكة شرخا ومملكة بالي ومملكة دارة. ويبدو من كلام العمري والقلقشندي ان هذه الممالك الاسلامية كونت لها جيوشا من الفرسان والمشاة ذات قدرة عالية.
وعلى الرغم من ان ملوك الحبشة كانوا ينظرون الى الدويلات الاسلامية في بلادهم بعين الحسد لارتقائها اقتصاديا وحضاريا، الا ان هذه الممالك كانت تعاني عوامل كثيرة من الضعف والتفكك بسبب المنازعات التي كانت كثيرا ما تقوم بينهما مما ساعد ملوك الحبشة على التسلط عليها وتنفير بعضها من بعض حتى لا تجتمع كلمتها على القيام في وجههم. واخيرا استطاعت الحبشة من انهاء هذه الممالك في القرن الخامس عشر الميلادي.

والجدير بالملاحظة ان نشاط العرب الاقتصادي وسيطرتهم على مرافق الساحل بسبب استقرار جماعات عربية في ارض الحبشة وسيطرتهم على طرق القوافل في الداخل ايضا، سببا في قيام حروب ومنازعات داخلية بين المسلمين والقوى المناهضة لهم. وقد استمرت هذه الحروب والمنازعات حتى النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي، حيث اخذت تتحول الى صراعات عالمية بدخول اطراف جديدة فيها كالمماليك والبرتغاليين والاتراك العثمانيين. ولكن على الرغم من الصعوبات الكثيرة التي وقفت في طريق العرب في المنطقة فانهم استطاعوا ايصال عقيدتهم ا الاسلامية وحضارتهم العربية الاسلامية الى سكان ارض الحبشة.

كلية : الآداب

القسم او الفرع : التاريخ

المرحلة: التاسعة

أستاذ المادة : أ.م .د. نوفل حامد عبد الرحمن عمران الهيتي

اسم المادة باللغة العربية : انتشار الاسلام في افريقيا

اسم المادة باللغة الإنكليزية : Spread of Islam in Africa

اسم المحاضرة التاسعة باللغة العربية: الاسلام في افريقيا الغربية

اسم المحاضرة التاسعة باللغة الإنكليزية: Islam in West Africa

الاسلام في افريقيا الغربية

أطلق العرب المسلمون في العصر الوسيط على مناطق افريقيا الغربية اسم بلاد السودان الغربي والاوسط، وهي المنطقة الممتدة عندهم من المحيط الاطلسي في الغرب حتى سودان وادي النيل في الشرق، وتقع بين المناطق الصحراوية في الشمال ونطاق الغابات الاستوائية في الجنوب.

ان ارتباط العرب بغرب القارة الافريقية لا يقل قوة عن ارتباطهم بشرق القارة فكما اتصل الشرق الافريقي بسواحل جنوبي الجزيرة العربية والخليج العربي، فان التأثير العربي الاسلامي وصل الى غرب افريقيا من الشمال الافريقي، وعبر الصحراء الكبرى، التي لم تكن تشكل مظهرا للعزلة والفصل وانما كانت اداة للربط والاتصال الشمال والجنوب عبر الواحات المنتشرة فيها. والجدير بالذكر ان تاريخ هذه المنطقة يرتبط بما جاورها لا سيما في الشمال ونقصد بذلك الصحراء وشمال افريقيا. وعلى الرغم من ان هذه المناطق خارجة عن نطاق دراسة بلاد السودان الغربي والاوسط الا ان تأثيرها مستمر في تاريخ هذه المنطقة خصوصا بعد وصول العرب المسلمين اليها. ولهذا السبب اصبح من الضروري ان نشير بين الحين والآخر الى بعض الخطوط العامة لتاريخ المنطقة الواقعة الى الشمال من افريقيا الغربية. كما ستكون دراستنا لتاريخ افريقيا الغربية مقسمة على قسمين: فيها الوجود ود العربي في السودان الغربي اولا وفي السودان الاوسط ثانيا، ولا سيما ان تاريخ كل منطقة له سماته وطبيعته الخاصة.

اولا: العرب المسلمون في السودان الغربي

١ ـ الصلات الاولى بين شمال افريقيا والسودان الغربي

ليست لدينا اية معلومات واضحة عن صلة العرب قبل الاسلام بالسودان الغربي(١). لكن المصادر العربية تزودنا بمعلومات وفيرة عن بدء وصول العرب المسلمين الى السودان الغربي، بل يمكن القول ان ما ورد من مادة فريدة واصيلة عن افريقيا جنوب الصحراء في المؤلفات العربية بخاصة كتب البلدانيين يشكل لنا الأساس في تدوين قضية الوجود العربي في افريقيا الغربية كلها ومنها السودان الغربي. ولولا المصنفات والمؤلفات العربية لما عرفنا شيئا عن تاريخ هذه المنطقة.

لقد انتقلت المؤثرات العربية الى السودان منذ البواكير الاولى للعصر الاسلامي ويمكن التأكيد على ان وصول العرب المسلمين الى تلك المنطقة له اثر كبير في تطوير حياة الشعوب الافريقية فيها.

بدأت صلات العرب المسلمين الأولى بالسودان الغربي بالجهد العسكري الذي بذله قادة العرب الاوائل. فلقد استطاع القائد العربي عقبة بن نافع الفهري في عام ٦٢هـ/ ٦٨١م من توجيه حملة عسكرية الى الحافات الشمالية للصحراء الغربية التي تعد المعبر الذي يربط المغرب الاقصى بالسودان الغربي. وعلى الرغم من ان معظم الروايات العربية التي وصلتنا عن حملة عقبة هذه لا تحتوي اي ذكر محدد للمناطق السوس التي وصلها عقبة وجيشه في الصحراء الغربية ، الا اننا نجد تفصيلا لذلك في نص لصالح بن عبد الحليم (القرن ٨هـ/ ١٤م) في كتابة الانساب حيث يعطينا صورة واضحة عن تقدم عقبة بن نافع في السوس الادنى والسوس الاقصى، فهو يقول: "فلما فرغ عقبة بن نافع من المغرب الاوسط دخل المغرب الاقصى سنة ٦٢هـ ـ وعقبة اول من دخلها من عمال المسلمين ـ وصل عقبة طنجة ووجد واليها فاستسلم له. فتقدم عقبة حتى وصل وليلة.. فوجد فيها جموع البربر فقاتلهم حتى هزمهم واتبعهم الى درعه ومن هناك نزل الى بلاد أيغران يطوف وقيل انه رجع من ا الادنى الى بلاد درعة فدخل بقبيل صنهاجة فأطاعوه ولم يقاتلوه وكذلك هسكورة". اما رواية ابن خلدون (القرن ٨هـ/ ١٤م)، فقد ذكرت ان عقبة " قد . السوس الى منطقة الملثمين، حيث قاتل قبيلة مسوفة البربرية " ومن هذا يظهر لنا ان ابعد نقطة في الصحراء الغربية وصلها العرب وقائدها عقبة بن نافع كانت وادي درعة، التي سماها صالح بن عبد الحليم (أيغران يطوف). وسماها خلدون (بلاد مسوفة).

تبعت حملة عقبة بن نافع الأولى الى الصحراء الغربية حملات القائد موسى بن نصير الى وادي درعة. ولقد مكنت كلتا الحملتين العرب التعرف على تلك المناطق وعلى سكانها من قبائل صنهاجة.

ومما يلحظ هنا الى ان الروايات المحلية في غرب افريقيا تذكر ان عقبة بن نافع استطاع ان يدرك بلاد السودان الغربي ويصل الى منحنى النيجر. السنغال وان ذكرى هذا القائد بقية حية عبر الاجيال متمثلة في انتساب بعض القبائل في غرب افريقيا الى عقبة بن نافع

استمرت حملات العرب العسكرية الى مناطق الصحراء الغربية في القرن الثاني . للهجرة / الثامن للميلاد، نذكر منها حملة حبيب بن ابي عبيدة بن عقبة بن نافع ايام ولاية عبيد الله بن الحبحاب على بلاد المغرب (١١٦-١٢٣هـ/ ٧٣٤-٧٤٠هـ) التي وصلت الى " السوس الاقصى وارض السودان " (")". وعلى الرغم من عدم وضوح هذا النص الذي وصلنا عن نشاط العرب العسكري ايام ابن الحبحاب، لكن نستطيع القول ان العرب حاولوا الوصول الى بلاد السودان الغربي في هذا الوقت المبكر. وان مثل هذه الحملات فتحت الطريق امام العرب للوصول الى تلك المناطق بصورة واسعة. في خلال القرون التالية من القرن الثاني الى الخامس للهجرة / الثامن الى

الحادي عشر للميلاد، أدت القوى السياسية في بلاد المغرب دوراً كبيراً في توثيق صلة عرب ببلاد السودان الغربي باقامة علاقات سياسية وتجارية مع تلك المناطق. ولعل اهم ما نذكره هنا هو صلات العرب الأدارسة، الذين اسسوا دولتهم في المغرب الاقصى في القرن الثاني للهجرة / الثامن للميلاد، تلك الصلات التي اقاموها مع الصحراء الغربية والسودان الغربي. ولدينا اشارات في المصادر العربية الى ان سلطة الادارسة الواسعة في الصحراء الغربية قد وصلت الى اعماق السودان الغربي. فيذكر . اليعقوبي ان مدينة تامدلت في وادي درعة والمناطق جنوبها كانت بيد الادارسة، وان لهم الفضل في أسلام بربر الصحراء الغربية الى الصنهاجيين كما كان للفاطميين الذين حكموا المغرب في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي أثر في ايصال المؤثرات العربية الاسلامية الى السودان الغربي.

وحالما وصل العرب المسلمون الى الشمال الافريقي، بدأت القبائل العربية بالتوغل نحو الجنوب وكان انسيابها بصورة مستمرة. ومما يلفت النظر ان العرب فاقوا غيرهم من الشعوب في مقدرتهم على الانسياب في الداخل الافريقي والوصول الى مناطق الصحراء وبلاد السودان واخضاعها لنفوذهم. وكانت القبائل العربية كلما مضت في تقدمها جنوبا احتكت بقبائل البربر والزنج بل ارغمت الكثير منهم على الاندفاع جنوبا. وقد استمر التدفق العربي قائما حتى دخلت بعض القبائل العربية الى مشارق النيجر والسنغال في السودان الغربي (ومناطق بحيرة تشاد في السودان الاوسط ايضا).

ومما لا شك فيه ان توغل العناصر العربية الاولى الى الصحراء والمناطق جنوبها قد رافقه نشاط التجار العرب الذين بدوا ينفذون الى تلك الجهات بالقوافل التجارية كما سنفصل ذلك فيما بعد. كما ان المؤثرات العربية الاسلامية فقد انتقلت الى السودان الغربي نتيجة هجرة جماعات كبيرة من اجل نشر العقيدة العربية الاسلامية. قد اسهمت هذه الجماعات المتكونة من العلماء والفقهاء والمتصوفة بدور كبير في نشر الاسلام في مناطق السودان الغربي. ومنذ منتصف القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي شهدت بلاد المغرب والمناطق الواقعة جنوبها اكبر الهجرات العربية، وهذه الهجرة عرفت في " التاريخ باسم " حركة بني هلال ". وقد كان لهذه الهجرة ـ كما سنفصل ادناه – اثراً كبيراً جدا في وصول العرب وانتشارهم في بلاد المغرب والمناطق جنوبها (الصحراء واطراف السودان).

الهجرة الهلالية:

شهد منتصف القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي تدفق اعداد كبيرة من القبائل العربية، مصحوبين بعوائلهم وممتلكاتهم، غير تاركين شيئا وراءهم يفكرون بالعودة اليه في مناطق وجودهم السابقة في مصر. وقد كان هذا التدفق – كما سنلاحظ مدعوما بقوة من الفاطميين، حيث انتشر القادمون من العرب في كل مناطق بلاد المغرب وفي كثير من مناطق الصحراء بحثا عن مستقرات لهم. عرفت القبائل العربية القادمة الى بلاد المغرب في القرن ٥هـ/ ١١م في التاريخ باسم "القبائل الهلالية " وعلى الرغم من اننا لا نعرف اصل هذه التسمية، نظرا لان الهجرة الهلالية كانت قد ضمت قبائل عدنانية هلالية وغير هلالية، وقبائل قحطانية ايضا. الا ان الواضح ان بني هلال كانوا قد ترأسوا زعامة كل هذه المجموعات المهاجرة . كما يعتقد ان قبائل بني هلال كانت أولى القبائل العربية التي دخلت بلد المغرب في ذلك الوقت . اما اهم القبائل التي ضمنتها الهجرة الهلالية فهي: بنو هلال وبنو سليم، ويرجع معظمهم الى أصلين كبيرين هما هوزان بن منصور وسليم بن منصور، ومنصور هذا يرجعه النسابة العرب الى قيس عيلان بن مصر بنو هلال القيسية. زغبة ورياح والاشبج وعدي. اما بنو سليم، فكانت قبائلهم هي زغب وهيب وعوف وذياب وناصرة وعميرة. وكانت القبائل القيسية الأخرى التي . وتشمل قبائل وغيرهم. ضمتها هذه الهجرة هي فزارة والاشجع من غطفان، وبنو جشم وسلول من هوزان اما القبائل غير القيسية فمنها عمرة بن اسد بن ربيعة من نزار. وفيما يخص المجموعة القحطانية التي ضمتها الهجرة الهلالية، فأهمها المعقل بفروعهم المختلفة ولخم وجذام

كانت كان الموطن الاصلي للقبائل الهلالية شبه الجزيرة العربية . اسهمت هذه القبائل في عملية نشر العقيدة العربية الاسلامية خارج شبه الجزيرة العربية. وفي خلال القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي شجع بنو هلال وبنو سليم على الهجرة الى مصر والاستيطان فيها . وما ان حل القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي حتى " مجموعات كبيرة من القبائل الهلالية قد استقرت في مصر العليا (في الحوف الشرقي) وفي كتاب المقريزي (البيان والاعراب) نجد وصفا مسهبا للقبائل العربية التي استوطنت مصر العليا، وبناء على روايته، فقد ضمت القبائل العدنانية مجموعات من قريش اضافة الى بني هلال وسليم. اما القبائل القحطانية فقد تكونت من جهينة ولخم وجذام . وما الا سنوات قليلة قبل النصف الثاني من القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي حتى بدأت القبائل العربية في مصر العليا حركتها باتجاه بلاد المغرب. هي

اما الدوافع وراء هجرة بني هلال الى بلاد المغرب فيمكن تلخيصها بما يلي:-

١ ـ كان بنو هلال المستقرين في مصر سببا لكثير من الاضطرابات والفتن وقد رأى الحكام الفاطميون ضرورة التخلص منهم، وكانت الدولة الفاطمية في مصر تعاني من ازمات اقتصادية وصلت الى حد المجاعة في القرن الرابع الهجري / العاشر ويظهر ان الفاطميين حاولوا التخلص من بني هلال، دفعا للاضطرابات التي يثيرونها، وتحفيفا للازمة الاقتصادية التي تعانيها مصر، وذلك عن طريق تشجيع هؤلاء بالهجرة الى المغرب

٢ ـ ان الازمة الاقتصادية في مصر قد اثرت في القبائل الهلالية ودعتها الى التفكير في البحث عن مناطق استقرار افضل فأختارت بلاد المغرب لتكون منقذا لها على حد قول ابن خلدون ، ولا سيما ان هناك جماعات من عرب بني هلال كانت قد استقرت منذ مدة طويلة في منطقة برقة وهم بنو قرة .

٣ ـ كانت الحالة السياسية في المغرب أبان منتصف القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي عاملاً مهماً في هجرة بني هلال. ففي هذا الوقت تدهورت آل زيري (من قبيلة صنهاجة) الذين تركهم الفاطميون لحكم بلاد المغرب بعد مغادرة الاخيرين الى مصر، وبين السلطة الفاطمية في الزمن حاول آل زيري الاستقلال بحكم بلاد المغرب الى ان تحقق لهم ذلك فعليا عام ٤٤٣هـ/ ١٠٥١م). ولما كان الفاطميون عاجزين عن مجابهة الزيريين عسكريا بسبب ازماتهم الاقتصادية التي اشرنا اليها، فقد قرروا توجيه القبائل العربية البدوية الضخمة التي تسكن الحوض الشرقي من مصر الى بلاد المغرب انتقاما من آل زيري.

بدأت هجرة بني هلال الى بلاد المغرب بموجب خطة وضعها اليازوري وزيرالحاكم الفاطمي المستنصر بالله، بان اصلح القبائل الهلالية المتصارعة واغرى رؤسائهم بالعطايا، وأفراد قبائلهم بالهدايا فاندفعت هذه القبائل عابرة نهر النيل ونزلت منطقة برقة حيث المراعي الخصبة لحيواناتها. ومن برقة استمرت قبائل بني هلال بالتدفق الى انحاء المغرب والصحراء. أما في المغرب الادنى (افريقية). فقد اصطدمت القبائل الهلالية بالسلطة الزيرية ودارت بينهم معارك كثيرة كانت نتيجتها سقوط القيروان عاصمة آل زيري على يد العرب . كما تم لهم السيطرة على مدن اخرى مثل تونس، وبونة، وقسطنطينية. ولعل النتيجة البارزة لسيطرة القبائل العربية على مدن المغرب الادنى هي انقسام المملكة الزيرية الى امارات صغيرة، يحكم الزيريون احداها في المهدية . ويمكن القول ان الفوضى السياسية التي عمت بلاد المغرب بعد سقوط الحكم الزيري يرجع الى عدم قدرة الهلاليين على تأسيس اي حكومة ذات اهمية في المنطقة. اما الحكومات التي اسسها هؤلاء العرب الهلالية مثل امارة بني جامع في قابس، وبني جبارة في سوسة؛ وامارة ابي الورد اللخمي في بنزرت، فلم تكن لها القابلية والقوة على اقامة دولة عربية قوية موحدة في بلاد المغرب تضع حدا للفوضى السياسية فيه. في المغرب الاوسط انتشرت القبائل العربية الهلالية مشتبكة بقبائل زناتة البربرية هناك ودارت بينهما حروب طويلة طاحنة كانت نتيجتها اندحار زناتة امام الهلاليين .

اما النتيجة الاكثر اهمية من ذلك فهي سقوط الكيانات السياسية لزناتة وصنهاجة، وانتشار العرب الهلاليين في بلاد المغرب وهيمنتهم على انحاء المغربين الادنى والاوسط.

وفيما يخص المغرب الاقصى، فالذي يبدو من النصوص التي بين ايدينا ان العرب الهلالية لم يصلوا الى المغرب الاقصى الا في القرن السادس الهجري / الحادي عشر الميلادي، وقد ادى الموحدون دورا مهما في ذلك حيث نقلوا اعداداً كبيرة من القبائل الهلالية التي كانت متسقرة في المغربين الأدنى والاوسط الى المغرب الاقصى، في محاولة للسيطرة عليهم اولا وفي الاستفادة منهم في حروبهم وتوسعاتهم في الاندلس ثانيا

اما مناطق الصحراء فقد شهدت هي الاخرى وصول مجموعات من القبائل العربية الهلالية حيث اندفع بنو سليم الى صحراء فران جنوبي برقة وطرابلس واستقروا في مراكز الاستقرار فيها. ويشير الادريسي في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي الى ان مناطق فزان كانت تحت نفوذ العرب المنتشرين فيها. ومما يبدو ان منطقة فزان اصبحت قاعدة للانتشار العربي في الصحراء باتجاه الجنوب والغرب بفعل العوامل البشرية والجغرافية والتجارية فمنها تدفق العرب الى مناطق السودان جنوبا وانتشروا حول بحيرة تشاد والى الصحراء الغربية غربا . واخيرا يمكن القول ان العرب الهلاليين الذين انتشروا في صحراء فزان بعد منتصف القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي اسهموا بصورة واضحة في تشكيل العنصر البشري في فزان من خلال استقرارهم ومتزاجهم مع سكان المنطقة . البربر (قبائل لمطة من وهوارة)

كما نجد ان قبائل هلالية من بني زغبة قد تدفقت الى الصحراء الواقعة جنوب المغرب الاوسط (الجزائر الحالية) واستقرت فيها. اما الصحراء الغربية فقد وصلتها العرب الهلالية في نهاية ٥هـ / ١١ م وبداية القرن ٦ هـ / ١٢م وما بعده، حيث استطاعت قبائل المعقل القحطانية بفروعها المختلفة الانتشار في المناطق الشمالية هذه الصحراء واستقرت فيها (*). وتكاثر بنو المعقل في هذه المنطقة واندمجوا مع سكانها من بربر صنهاجة واصبحت هذه الصحراء مناطق عربية بفضلهم. وبتقادم الزمن تدفق قسم منهم (اي المعقل) الى مناطق السودان الغربي جنوبا، حيث نجد في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي وما بعده وجود مجموعات من قبائل بني حسان - احدى فروع المعقل – في منطقة نهر النيجر . واخيرا لا بد من الاشارة الى كثرة الحديث بين المهتمين بالتاريخ، القدامي والمحدثين، الشرقين والغربين، عن نتائج الهجرة الهلالية الى بلاد المغرب، وتصارع الافكار حول كون الهلاليين العرب يمثلون احد اسباب الانهيار السياسي والاقتصادي الذي حل في منتصف القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، لكن هذا لا يقلل من كون الحركة الهلالية كانت من اهم القنوات التي حملت العروبة بكل جوانبها الى اماكن لن يصلها العرب بهذا الشكل الواسع.

كلية : الآداب

القسم او الفرع : التاريخ

المرحلة: العاشرة

أستاذ المادة : أ.م .د. نوفل حامد عبد الرحمن عمران الهيتي

اسم المادة باللغة العربية : انتشار الاسلام في افريقيا

اسم المادة باللغة الإنكليزية : Spread of Islam in Africa

اسم المحاضرة العاشرة باللغة العربية: انتشار الاسلام في السودان الغربي

اسم المحاضرة العاشرة باللغة الإنكليزية :Spread of Islam in Western Sudan

ثانيا: انتشار الاسلام في السودان الغربي

كانت اولى نتائج وصول العرب المسلمين الى بلاد السودان الغربي، هي ا انتشار الاسلام والحضارة العربية الاسلامية في تلك المنطقة. فقد كان احتكاك سكانها بالتجار والعلماء والمهاجرين العرب الوافدين الى بلادهم السبب في اسلامهم. فالهجرات البشرية، كما عرفنا سابقا، كانت من قنوات انتشار الاسلام في السودان الغربي، فامتزجت الدماء وتداخلت الثقافات. اما التجارة بين الشمال الافريقي والسودان الغربي عبر الصحراء، فقد لازمها دائما عملية نشر الاسلام بين السودانيين. فانتشار الاسلام في السودان الغربي قديم، ويعود الفضل في ايصاله الى التجارة في المقام الاول. ولذا فلم يكن المرابطون الصنهاجيون الذين اخضعوا المنطقة الى سلطة الاسلام السياسية في النصف الثاني من القرن ٥هـ/ ١١م هم اول من ادخل الاسلام في تلك البلاد بل سبقهم التجار العرب المسلمون ولكن كان للمرابطين، كما سنفصل، الفضل في ازدياد امتداد الاسلام بين سكان السودان الغربي. والراجح ان انتشار الاسلام بين رعايا البلاد السودانية كان قد سبق اسلام ملوك تلك المنطقة بصورة عامة، لا سيما اولئك السودانيين الذين احتكوا مع اوائل القادمين - من العرب المسلمين الى بلادهم ونقصد بهم التجار. ومما لا شك فيه ان اسلام الملوك السودانيين قد اسهم بنصيب وافر في اتساع دائرة نفوذ الاسلام بين رعاياهم. ويبدو ان المنافع السياسية والاقتصادية التي تهيأت للحكام السودانيين بفضل الاسلام وانتشاره، قد ادت الى حرص هؤلاء الحكام على تشجيع نشر الاسلام والثقافة العربية الاسلامية في المنطقة باقامة المساجد والمدارس لتعليم القرآن وقواعد الدين. فكان لهذه السياسية اثرها في توسع نطاق انتشار الاسلام في البلاد السودانية يضاف الى ذلك الرحلة من اجل الحج أو طلب العلم التي ساعدت على ازدهار الثقافة العربية الاسلامية في بلاد السودان وكانت من أولى نتائج ذلك هو انتشار الاسلام على نطاق واسع في المنطقة.

هذه هي السمات الاساسية العامة لانتشار الاسلام في السودان الغربي، وسوف نحاول في الصفحات الاتية التعرف عليها بصورة تفصيلية.

النشاط التجاري وأثره في أيصال الاسلام ونشره في السودان الغربي: في البدء لا بد من القول ان لموضوع التجارة اهمية استثنائية في تاريخ العرب في السودان الغربي.فالعلاقة العضوية القائمة بين ا النشاط التجاري وانتشار الاسلام، تدعونا الى القول، انه كلما نشطت حركة التجارة نشطت ايضا حركة انتشار الاسلام والثقافة العربية في الصحراء ومناطق السودان جنوبها. ومن المؤكد ان التجار العرب المسلمين بداوا اتصالهم مع

السودان الغربي منذ وقت مبكر جدا ومع وصولهم الى شمال افريقيا في القرن الأول الهجري / السابع الميلادي. ولا بد ان يكون ذهب السودان حافزا مهما لعبور التجار العرب المسلمين الصحراء وتحملهم الكثير من التضحيات. ويعد الفزاري في القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي اول الكتاب العرب الذين اشاروا الى ذهب السودان في كتابه ' الزيج " وان معرفته بمركز الذهب في مملكة غانة السودانية ربما له دلالة على وصول التجار العرب المسلمين الى تلك المناطق في ايامه اقل تقدير؛ ولاجل ضمان تدفق ذهب السودان فقد بدا العرب بتنظيم التجارة عبر الصحراء ففي القرن المذكور اعلاه نجد أن والي بلاد المغرب عبد الرحمن بن الحبحاب (ولاية ١٣٠-١٣٨هـ/ ٧٤٧-٧٥٥م) كان قد امر بحفر الآبار في الطريق التجاري الذي كان يمر بالسوس الى أودغست لتسهيل سير القوافل التجارية عبره . وقد استمرت الجهود في هذا المجال في القرون التالية.

ان التجار العرب المسلمين الذين دفعهم العامل الاقتصادي لعبور الصحراء وممارستهم نشاطاتهم التجارية مع بلاد السودان الغربي، كان اغلبهم كما تقتضي التعاليم الاسلامية يطبقون القوانين الاسلامية في تعاملهم اينما حلوا هذا اضافة الى مزاولتهم الشعائر الاسلامية مثل الصوم والصلاة، مما أثار أنتباه الأفريقيين الذين عرفوا الدين الأسلامي لأول مرة من التجار وتأثروا تدريجيا : بهم فاعتنق الكثير منهم الاسلام. فضلاً. عن ان بعض التجار المسلمين الذين كانوا على المذهب الاباضي كانوا يدخلون في بلاد السودان بمحاورات ومناقشات دينية وعقائدية السكان مع السودانيين بفضل حماسهم لنشر الدين الاسلامي مما جعل مهمة التجار اقتصادية ودينية في وقت واحد ونرى من الضروري التعرف على اهم الطرق التجارية التي تمر عبرها القوافل الصحراوية للتجار العرب المسلمين واهم السلع التجارية التي كانت تحملها هذه القوافل في ذهاباً واياباً، والتقاليد والنظم التي كانت متبعة في تجارة القوافل للعرب المسلمين، وأخيراً أثر هذا النشاط في نشر الاسلام والحضارة العربية الاسلامية في السودان الغربي.

ان المعابر الرئيسية المعروفة في تجارة القوافل الصحراوية التي تربط السودان الغربي بالشمال الافريقي متعددة، كما انها لم تزدهر مرة واحدة. فقد كان هناك خط تجاري قديم يربط مصر بمنحنى نهر النيجر ماراً عبر صحراء فزان، ويبدو ان استعمال هذا الطريق قد بطل قبل القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي بسبب العواصف الرملية التي اتت على الكثير من القوافل التجارية المارة عبره، كما يخبرنا بذلك ابن حوقل ولا بد ان التجار العرب المسلمين قد استخدموا هذا الطريق منذ وقت مبكر ليس لنقل البضائع وحدها بل لنقل المؤثرات العربية الاسلامية الى السودان الغربي ايضا . ومنذ القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي كانت هناك ثلاثة طرق رئيسية تستعملها القوافل الصحراوية تربط السودان الغربي بالشمال وتتفرع عنها طرق ثانوية متعدد وهذه الطرق هي: -

١. الطريق الغربي وهو الطريق الذي يربط المغرب الاقصى بالسودان الغربي، ويبدأ من مدينة سجلماسة المركز التجاري المهم الواقع في بداية الخط التجاري الغربي، ماراً بالصحراء الغربية وينتهي في مدينة أودغست المركز التجاري الواقع على الحافات الجنوبية للصحراء. أو دغست القوافل الى مدن السودان الغربي ا المختلفة وهناك فرع لهذا الطريق يبدأ من مناطق السوس في المغرب الاقصى ماراً بالصحراء الغربية منتهيا ومن يستمر سير بمدينة غانة .

٢. الطريق الاوسط الذي يربط مدينة تاهرت والمغرب الأوسط بالسودان الغربي، والذي يبدأ من تاهرت ويمر بواحة ورقلان الى تادمكة الى ان ينتهي الى جوى مركز القوافل على نهر النيجر وكان هذا الطريق يستعمله منذ مدة مبكرة التجار الأباضية.

٣. الطريق الشرقي الذي يربط مناطق طرابلس بالسودان الغربي، ماراً بغدامس وتادمكة الى ان يصل الى منحنى نهر النيجر.. وهناك فرع مهم لهذا الطريق يربط مناطق طرابلس بالسودان الاوسط (كانم) عبر صحراء فزان.

وعلى الرغم من ان هذه الطرق تتحكم بها عوامل سياسية واقتصادية تؤدي الى تغير مسالك القوافل من وقت لآخر، لكن الاتجاهات عموما تبقى ثابتة ما دامت المراكز التجارية الواقعة عليها لم تفقد قيمتها لسبب أو لآخر. ولا ريب في ان أهم مؤثرات ضعف حركة التجارة على طريق من الطرق هو مدى الضمانات الامنية التي تتهيأ للقوافل. والملاحظة الجديرة بالعناية ان الطرق التجارية الثلاثة المذكورة اعلاه كانت المسالك التي انتقل عبرها الاسلام والحضارة العربية الى بلاد السودان العربي. اما اهم السلع التي كان ينقلها التجار العرب والمسلمون من السودان الغربي الصحراء الى الشمال فيأتي الذهب في مقدمتها، حيث تعد منطقة السودان الغربي الممول الاساس للذهب في العالم الاسلامي واوربا في العصر الوسيط. وقد اثارت هذه المادة اهتمام الكتاب والجغرافيين العرب منذ القرن الرابع للهجرة / العاشر للميلاد في اقل تقدير. ويعد الفلكي العربي الفراري اول من اشار الى ذهب السودان الغربي كما ذكرنا أنفاً ومن ثم تبعته المصادر العربية الأخرى التي وصفت طرق نمو الذهب وجمعه، فهو ينمو كالجزر في الأرض وتحفر الأرض لاستخراجه . وهناك من قال بأن الذهب ينمو في جزيرة نهر السنغال حيث من المعتاد ان يفيض الماء على عبر الماء يقوم السكان المحليون بجمع ما ظهر من حباب الذهب على سطح الجزيرة حتى تغمره المياه ثانية.

اما مناجم الذهب فقد بقيت سرية عن التجار في العصر الوسيط. ويشير البكري في القرن ٥هـ/ ١١م الى ان الذهب في السودان الغربي يأتي من مدينة غياروا على بعد ثمانية عشر يوما من العاصمة غانه، وتقع غياروا على الضفة اليمنى للسنغال الأعلى وفي بلاد معمورة بقبائل السودان اما الادريسي في القرن ٦هـ/ ١٢ م فقد اطلق على مناطق الذهب في السودان الغربي اسم " ونجارة " . وعلى اية حال، فان الذي يمكن استنتاجه من اوصاف

الجغرافيين والرحالة العرب المسلمين هو ان مناجم الذهب تقع في المناطق الجنوبية من غانة على الحافات الشمالية لنهر النيجر والمناطق الغربية لنهر السنغال. ولعدم معرفة التجار بمناجم الذهب فقد اتبعت طريقة خاصة في الحصول عليه عرفت باسم " تجارة الذهب الصامتة " التي سنتكلم عنها لاحقاً. والذهب يستخرج عادة مسحوقا وهو الذي يعرف " بالتبر " او على شكل كتل ذهبية، والأخير كان يحتكره ملوك السودان (مثل ملك غانه وبعده ملك مالي). حيث لا يسمح للتجار باخراجه الى بلادهم كما يفرض حكام السودان ضرائب على مسحوق الذهب الذي يخرج من بلادهم ويحمل عبر الصحراء الى بلاد المغرب حيث يسك منه عملة نقدية في مراكز السكة في سجلماسة ووارقلان، والقسم الآخر يذهب شرقا الى أقاليم الدولة العربية الاسلامية، وبعضه يذهب عن طريق البحر المتوسط الى صقلية ومنها الى اوربا حيث يكثر الطلب عليه هذه الجزيرة ثم ينسحب وذلك في شهر آب، وعندما ينسحب وعن بضائع السودان الغربي الأخرى التي يحملها التجار العرب والمسلمون عبر الصحراء الى الشمال، فكانت مواد العاج والجلود والصمغ والكولا وغيرها.

وفيما يخص البضائع التي حملها التجار من الشمال الى بلاد السودان الغربي فهي منتجات بلاد المغرب ومنتجات الشرق الاسلامي وبعض منتجات البحر المتوسط. ومن هذه البضائع الحبوب والتمور والنحاس المصنع والاقمشة والملابس والخرز والاصواف والزجاج وغيرها. وكانت اهم بضاعة حملتها القوافل الصحراوية الى بلاد السودان هي الملح.

كانت حاجة سكان السودان الغربي ماسة للملح لا سيما لاستعماله في اغرض مختلفة وفي الطعام حيث يفقد الجسم كميات كبيرة منه في المناطق الحارة، لانعدام وجود مناجم الملح في مناطق السودان الغربي ولصعوبة نقل ما يستخرج من شواطئ المحيط الاطلسي الى الداخل لارتفاع درجات الحرارة. لذا نجد ان اهم مادة يبادلها السودانيون بالذهب هو الملح، حيث كان يبادل الحمل الواحد من الملح بحملين من الذهب وقد بلغ ثمن " حمل الملح في دواخل بلاد السودان واقاصيه ما بين مئتين ي ثلاثمائة دينار " . في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي. وفي ايام ابن بطوطة في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي كان ثمن حمل الملح ما يعادل ١٠مثاقيل ذهبا واحيانا يصل الى ثلاثين مثقالا .

ومن اجل المحافظة على ثروة الملح في السودان نجد ان ملوك السودان قد فرضوا على المتاجرين به ضرائب عالية قدرها دينار من الذهب على كل حمل ملح يدخل الى بلادهم ودينارن على كل حمل ملح يغادرها . اما اهم مصادر الملح فكانت المناجم الواقعة في الصحراء ويبدو ان هناك منجمين احدهما على شاطئ المحيط في منطقة قبائل بني ـ جدالة الصنهاجة ويسميه البكري باسم " أوليل " حيث كان يحمل الملح منه الى المناطق السودانية المجاورة . اما المنجم الثاني المهم في الصحراء فهو الذي يقع في الطريق الصحراوي الذي يربط سجلماسة بغانة

فيسمه البكري " تانانتال " اما ابن بطوطة فيطلق عليه اسم " تغازي " ومن وصفهما لهذا المنجم يتضح لنا انه يقع في الصحراء الغربية على بعد ٢٠الى ٢٥ يوما من مدينة سجلماسة، ويستخرج الملح منه كما تستخرج بقية المعادن حيث تحفر الأرض فيوجد منه الواح ضخمة متراكمة وتقطع هذه الالواح ثم تحمل على الجمال الى بلاد السودان. اما القرية التي يوجد فيها منجم الملح هذا فان بيوتها ومساجدها من حجارة الملح ومسقفة من جلود الجمال، لكنها كثيرة الحركة محتشدة بالتجار القادمين اليها من الشمال لحمل الملح جنوباً الى السودان الغربي .

ان التجارة الصحراوية بين بلاد المغرب والسودان والتي اصبحت في العصر الوسيط حكرا على التجار العرب المسلمين، اقتضت تنظيمات خاصة، نذكرها بشيء من التفصيل. فقد كان لقوافل الصحراء نقاط انطلاق ثابتة في الشمال مثل مدن سجلماسة، وورقلان، وغدامس، وغيرها حيث تجمع فيها البضائع المطلوبة في بلاد السودان لتحمل جنوباً، وهذه المراكز تقع عادة في الحافات الشمالية للصحراء. فضلا عن ذلك فان مراكز أخرى في الشمال مثل فاس والجزائر وتونس تنقل منها البضائع المجلوبة من بلاد السودان الى الشرق واوربا. كما كانت لقوافل الصحراء التجارية نقاط وقوف في الصحراء مثل تغازي وازقي، واكداس، وغيرها حيث توجد واحات يسمى عادة السودان الغربي حيث الطلب عليها.

ان تجارة القوافل الصحراوية اقتضت خبرة خاصة، فالصحراء الصعبة الشاقة اجبرت رجال القوافل على تأجير شخص من قبائل الصحراء ليكون مرشدا لهم في دروبها ومسالكها المميتة، بـ " التكشيف " حيث يكون عرافا بأقصر الطرق المؤدية الى بلاد السودان ومناطق المياه في هذه الصحاري الجرداء. ويبدو ان اجرة التكشيف كانت عالية حيث بلغت احيانا مائة مثقال من الذهب . كما كان كشيف اعمال اخرى يصفها لنا ابن بطوطة من مشاهداته حيث رافقه التكشيف في نه من سجلماسة الى اوالاتن ضمن قافلة كبيرة، قائلاً: " يتقدم القافلة الى ايوالاتن بكتب الناس الى اصحابهم بها، ليكتروا لهم الدور ويخرجون للقادم بالماء مسيرة اربعة (ايام) ومن لم يكن له صاحبا بايوالاتن، كتب الى من اشتهر بالفضل من التجار فيشاركه في ذلك " . ويبين لنا ابن بطوطة هذا ايضا أن لتجار القوافل العرب وكلاء في المدن السودانيةالصحراء التي تتزود منها القوافل بالماء والطعام. واخيرا هناك نقاط جنوبية تنتهي فيها القوافل التجارية كاودغست وايولاين وكوكو وغيرها وهذه المدن تقع عادة في الحافات الجنوبية للصحراء، حيث تحمل منها بضائع الشمال منها الى مختلف مدن ينظمون لهم أمورهم فيها.

كان هؤلاء الوكلاء والشركاء عادة من التجار العرب المستقرين في المراكز التجارية السودانية، حيث يعرفون عن كثب حالة الاسواق السودانية واماكن السلع المرغوب فيها . وهو يهيئون للتجار القادمين من الشمال كل ما يريدون. ولعل من اهم الشركات هي " شركة المقري التجارية " التي نشطت في القرن السابع الهجري /

الثالث عشر الميلادي، وكانت مؤلفة من خمسة اخوة من اسرة المقري المغربية. رئيس هذه الاسرة هو عبد الرحمن المقري، الذي يحتمل انه كان حيا خلال القرن الثاني عشر الميلادي، وعمل في التجارة هو وبنوه من بعده وجمعت هذه الاسرة ارباحا طائلة من هذا العمل، لانها عملت في التجارة بين بلاد السودان وبين بلاد المغرب واوربا.

كان هؤلاء الاخوة قد نظموا عملهم التجاري فيما يشبه الشركة، حيث كانوا شركاء متساوين قسموا العمل بينهم. يقيم اثنان منهم في مدينة تلمسان، المرفأ التجاري المزدهر في بلاد المغرب، واثنان في ايوالاتن، المركز التجاري الواقع في الحافات الجنوبية للصحراء في نهاية خط القوافل التجارية، والخامس في سجلماسة الواقعة في الحافات الشمالية للصحراء وهي بداية خط القوافل التجارية الصحراوية، في الشمال كان على المقيمين في تلمسان جمع السلع المغربية والاوربية وارسلها الى أخويهم في السودان المقيمين في ايوالاتن لتوزيعها على الأسواق السودانية كما كان عليهم جمع السلع السودانية من العاج والذهب وغيرها وارسالها مع القوافل الى أخوتهم في الشمال. أما مهمة خامس الاخوة الذي كان رئيس الشركة وكان مقيماً في سجلماسة فتنحصر في مراقبة الأسواق العالمية والاسعار السائدة ومعرفة السلع المطلوبة او غير المرغوب فيها، وبكلمة بسيطة هو جمع المعلومات التي تتعلق بحركة التجارة والعوامل المؤثرة فيها وامداد اخوته بهذه المعلومات. وبهذه الطريقة نجحت تجارة هذه الشركة وازدادت ثروتها واصبح لها مكانة هامة في التجارة بين بلاد السودان والشمال، ولنا ان نفترض بأن هناك آخرين مثل اخوان المقري لم تصلنا أخبارهم .

كما كان لتنظيمات التجارة مع بلاد السودان طريقة خاصة اتبعت في تجارة الذهب وهي التي اطلق عليها بـ " تجارة الذهب الصامتة " وكان المسعودي في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي اول من اشار الى هذه التجارة من الكتاب العرب.

اما ياقوت الحموي فلديه معلومات مهمة عن تجارة الذهب الصامتة، فهو يقول: " تسافر التجار من سجلماسة الى مدينة في حدود السودان يقال لها غانه وجهازهم الملح وعقد خشب الصنوبر وخرز الزجاج الازرق واسورة نحاس احمر وحلق وخواتم نحاس لا غير، يحملون منها الجمال الوافرة القوية اوتارها ويحملون الماء من بلاد لمتونة وهو الملتون... حتى يصلوا الى غانة بعد مشاق عظيمة، فينزلون فيها ويتطيبون ثم يستصحبون الادلاء ويستكثرون من حمل المياه ويأخذون معهم جهابذة وسماسرة لعقد المعاملات بينهم وبين ارباب التبر، فيمرون بطريقهم على صحاري فيها رياح السموم... حتى يقدموا الموضع الذي يحجز بينهم وبين اصحاب التبر، فاذا وصلوا ضربوا طبولا معهم عظيمة تسمع من الافق الذي يؤمه هذا الصنف من السودان، ويقال انهم في مكامن واسراب تحت الارض عراة لا يعرفون سترا كالبهائم مع ان هؤلاء القوم لا يدعون تاجرا يراهم ابدا، وانما هكذا

تنقل صفاتهم، فاذا علم التجار انهم قد سمعوا الطبل اخرجوا ماصحبهم من البضائع فوضع كل تاجر ما يخصه من ذلك، كل صنف على جهة ويذهبون عن الموضوع مرحلة، فيأتي السودان ومعهم التبر فيضعون الى جانب كل صنف منها مقدارا من التبر وينصرفون، ثم يأتي التجار بعدهم فيأخذ كل واحد ما وجد بجنب بضاعته من التبر، ويتركون البضائع وينصرفون بعد ان يضربوا الطبول، وليس وراء هؤلاء ما يعلم "

وهكذا نجد المشقة الكبيرة التي يتحملها التجار من اجل الحصول على الذهب من اصحابه، وكيف انهم يستخدمون وكلاء عارفين بأماكن الذهب وطرق المعاملة مع "من ارباب كما نجد ان مكان مناجم الذهب بقي سرا عن التجار. ولقد حاول هؤلاء في احد المرات اكتشاف مصدر الذهب حيث قبضوا على احد السودانيين من اصحاب الذهب، ولكن هذا الاخير فضل الموت على ان يقول كلمة واحدة، فكان . نتيجة ذلك ان توقفت تجارة الذهب الصامتة لثلاث سنوات، عقابا من اصحاب الذهب للتجار، ثم عادت لانه لم يكن اما السودانيين وسيلة أخرى للحصول على الملح الضروري لهم والذي لا يمكن الحصول عليه الا عن طريق التجار القادمين الى مناطقهم.

ان وصول التجار العرب والمسلمين الى المراكز التجارية السودانية، واستقرار الكثير منهم لمزاولة اعمالهم التجارية بصورة مؤقتة او دائمة، قد جعلهم اهم واسطة لنقل المؤثرات العربية الاسلامية الى تلك المناطق وأسلام حكام وسكان مدن السودان الغربي وسنحاول ان نتعرف على وجود التجار العرب والمسلمين في بعض المراكز التجارية السودانية المهمة واثر هذا الوجود.

كانت مدينة اودغست الواقعة على مسيرة خمسة عشر يوما غربي . غانه، وعلى بعد (١٥) مرحلة من مدينة سجلماسة . المركز التجاري الواقع في نهاية الخط التجاري الصحراوي الغربي ولم تكتسب هذه المدينة أهميتها من كونها محطة لاستراحة القوافل فحسب، بل كانت سوق ونقطة لقاء بين تجار قوافل التجارة الصحراوية حيث يبادلون بضائعهم الشمالية بالبضائع القادمة الى أودغست من مدن هي السودان الغربي المختلفة .

ويبدو أن تطور مدينة أودغست (التي تقع اليوم في الجمهورية الاسلامية الموريتانية) ارتبط بالحركة التجارية النشيطة بين بلاد المغرب والسودان، فأصبحت خلال القرنين ٤-٥ هـ/ ١٠-١١م مركزا يعج بالنشاط الاقتصادي، حيث سكنها التجار العرب والمسلمون باعداد كبيرة من بينهم تجار من العراق، مارسوا نشاطهم التجاري في هذه المدينة ولا شك ان في شهرتها التجارية ووفرة ارباحها هي التي حفزت التجار العرب الى الهجرة اليها والاستقرار فيها. ويسجل لنا ابن حوقل نصاً مهماً يبين مدى الثراء الذي بلغه التجار العرب من بلاد المغرب في هذه المدينة فهو يقول: " ولقد رأيت باودغست صكا به ذكر حق لبعضهم على رجل من تجار أو دغست، وهو من أهل سجلماسة باثنين واربعين ألف دينار وما رأيت ولا سمعت بالمشرق لهذه الحكاية شبها ولا نظيرا "

كان وجود التجار من أهل الشمال في مدينة أودغست قد ادى الى توسيع نطاق التجارة في داخل وخارج هذا المركز وبناء على ذلك فقد اصبحت مدينة أودغست مركزا تجاريا لتوزيع البضائع الشمالية والجنوبية فالذهب والعاج والصمغ وغيرها من منتجات السودان كانت تصدر الى بلاد المغرب عبر الصحراء. وكانت البضائع المجلوبة عوضا عنها من المغرب التي تتضمن الحبوب والتمور والنحاس والملابس والخرز والزجاج اضافة الى الملح تذهب الى اسواق مدن السودان الغربي .

ومما يلحظ ان سكنى التجار العرب باعداد كبيرة في مدينة اودغست كان له أثره في انتشار الاسلام والحضارة العربية الاسلامية فيها بشكل واسع ومنذ وقت مبكر. كما ان الاهمية التجارية لهذه المدينة جعلتها محط صراع طويلة من اجل السيطرة عليها وقد دار هذا الصراع بين الحكام السودانيين لا سيما حكام غانة وبين قبائل لمتونة الصنهاجية، وانتهى الأمر في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي بان خضعت او دغست لسلطة المرابطين اللمتونيين واصبحت تابعة سياسيا لدولة المرابطين في الشمال (بلاد المغرب الاقصى) كما سنشير الى هذا لاحقا. ان توسع النشاط التجاري العربي في السودان الغربي وانتشار التجار العرب والمسلمين في المراكز التجارية السودانية، كان يحتم ايجاد مستقرات عربة للتجار في تلك المنطقة نذكر منها الحي العربي الاسلامي في مدينة غانة. فمنذ وقت مبكر شهدت مدينة غانة (عاصمة مملكة غانة السودانية) وجود التجار العرب بسبب موقعها القريب من مناجم الذهب ، فوصلها تجارا من اهل العراق بصريين، وتجار من اليمن حميريين . اضافة الى التجار القادمين من كل انحاء المغرب اليها وبمرور الزمن ، الامر الذي جعل مدينة غانة محطة تجارية ذات اهمية كبرى لبلاد المغرب والسودان الغربي، والملاحظ ان لتوافد التجار على هذه المدينة بكثرة كان سببا في تأسيس حي فيها ويبدو ان التجار العرب المسلمين في مدينة غانة أصبح كبيرا بحيث انه احتوى على اثني عشر مسجدا، كما كان تعداد المسلمين فيه كثيرا حيث كانت المدينة تعج بالفقهاء والعلماء في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي واضافة الى هذا الحي الخاص بالتجار، كان هناك في مدينة غانة – حي خاص بالملك (ملك غانة) .

ويبدو ان الجالية العربية الاسلامية في مدينة غانة قد اسهمت اسهاما بارزا في الحياة الادارية لمملكة غانة اضافة الى أثرها الاقتصادي. فالوزراء وكتاب الملك كانوا من المسلمين بل ان " صاحب بيت المال " لملك غانة، وهو منصب ذو اهمية كبرى.

كان من بين التجار المسلمين. فلا غرو اذن ان يحتل المسلمون مكانة كبرى لدى الملك مما دفع به الى ان يؤسس لهم مسجدا قريبا من قصره على الرغم من انه لم يكن قد اعتنق الاسلام بعد . وهذا يدل على ان اتساع الوجود التجاري للعرب المسلمين في غانة كان سببا في نشأة علاقات طيبة بين التجار المسلمين والطبقة الحاكمة السودانية، ولا سيما ان الاخيرين قد ادركوا الفوائد الاقتصادية التي تعود عليهم من وجود التجار المسلمين بينهم.

ومن مدن السودان الغربي التي وجد فيها التجار العرب المسلمون، التكرور (الواقعة جنوب غرب السنغال) حيث نجد ان التجار العرب قد حملوا بضائعهم المختلفة من الصوف والنحاس والخرز الى هذه المدينة ليبادلوها بالذهب والسلع السودانية الاخرى . كما شهدت مدينة التكرور نشاطا للتجار الاباضية منذ وقت مبكر لوجود صلات تجارية بين هذه المنطقة وجبل نفوسه (مركز الاباضية في تونس). وكانت اول حصيلة لوجود التجار الأباضية في التكرور هو اسلام حاكم هذه المدينة وارجابي (ت ٤٣٢ هـ/ ١٠٤٠م). الذي قام بجهود طيبة من أجل نشر الاسلام في المناطق السودانية المجاور له

كان لا بد للنشاط التجارة في السودان الغربي من ان يحمل التجار العرب والمسلمين الى المدن المتاخمة لمناجم الذهب في تلك المنطقة. ولذا نجد ان البكري في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي يؤكد استقرار بعض التجار المسلمين في مدن غياروا وسامة وكوغة وملل في مناطق مناجم الذهب . في السودان الغربي، كما يذكر ان نشاطهم التجاري قد رافقه عملية نشر العقيدة الاسلامية ايضا، فأسلم حاكم مدينة ملل على يد احد التجار المسلمين القاطنين في بلاده

اما في مملكة مالي الاسلامية التي اعقبت مملكة غانه في حكم السودان الغربي، فقد نشطت حركة التجار العرب والمسلمين في مدنها المختلفة مثل مالي (العاصمة) وتكدة وولاته (اوالاتن). ويتكلم الرحالة ابن بطوطة الذي زار مدن مالي في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي عن التجار العرب والمسلمين في هذه المدن وعن علاقتهم الطيبة والوثيقة مع الطبقة الحاكمة في مالي التي وصلت الى درجة المصاهرة بين الطرفين). ان اتصال التجار العرب بالاسرة الحاكمة المالية كان بالتأكيد مسؤولا عن تعريف هؤلاء الناس بالاسلام. ويبدو ان وجود العرب والمسلمين في مالي ترك اثر في حياة المدينة السياسي والاقتصادي والمعماري ايضا حيث نجد ان الطرز العربية الاندلسية في بناء بيوت مدينة مالي ومساجدها يبدو واضحا(٣). وهكذا كانت نتائج تجارة القوافل الصحراوية بين المغرب والسودان الغربي تحت ظل العرب المسلمين واضحة، فالاضافة الى النتيجة المعروفة . وهي انتشار العقيدة الاسلامية بين سكان السودان الغربي، فان التجارة ساعدت ايضا على وصول النظم الادارية والاقتصادية والفكرية والفنية العربية الاسلامية الى المراكز التجارية السودانية فازدهرت بذلك حضاريا.

كلية : الآداب

القسم او الفرع : التاريخ

المرحلة: الحادية عشر

أستاذ المادة : أ.م .د. نوفل حامد عبد الرحمن عمران الهيتي

اسم المادة باللغة العربية : انتشار الاسلام في افريقيا

اسم المادة باللغة الإنكليزية : Spread of Islam in Africa

اسم المحاضرة الحادية عشر باللغة العربية: المرابطين والموحدين واثرهم في اتساع نطاق الاسلام في السودان الغربي

اسم المحاضرة الحادية عشر باللغة الإنكليزية: The Almoravids and the Almohads and their impact on the expansion of Islam in Western Sudan

محتوى المحاضرة الحادية عشر

المرابطون الصنهاجيون وأثرهم في اتساع نطاق الاسلام في السودان الغربي

قبائل صنهاجة الصحراوية:

قبائل كثيرة منهم جدالة ولمتونة ومسوفة وجزولة وهسكورة، وقد عرف عنها في التاريخ انها كانت تتقاسم الصحراء الغربية فيما بينها منذ قرون طويلة. فقبائل جدالة كانت تسكن المنطقة الغربية منذ أمد بعيد، ولا سيما المناطق المتطرفة من هذه الصحراء التي تحاذي المحيط الاطلسي. اما قبائل لمتونة فقد كان نصيبها القسم الأوسط من الصحراء الغربية. وفي القسم الشرقي من هذه الصحراء كان مساكن قبائل مسوفة الصنهاجية، اما جزولة وهكسورة فكانت تسكن الحافات الشمالية للصحراء الغربية . اطلق العرب على قبائل صنهاجة الصحراوية اسم الملثمين، لان رجال صنهاجة كانوا يرتدون اللثام الذي اصبح ميزة لهم، وكان استخدام الجمل في الصحراء الغربية قد مكنهم من التجارة مع بلاد السودان حيث يبادلون الملح الذي يستخرجونه من صحاريهم بمنتجات السودان. كانت اولى الصلات بين العرب وسكان الصحراء الغربية فقد بدأت في النصف الثاني من القرن الأول الهجري / السابع الميلادي، حيث استطاع، وكما اشرنا سابقا، القائدان العربيان عقبة بن نافع الفهري وموسى بن نصير من ايصال الجيش العربي الى مناطق وادي درعة في الصحراء الغربية. ومثلت هذه الحملات اللقاء الاول بين العرب المسلمين والصنهاجيين سكان الصحراء. واستمرت صلات العرب بهم بعد ذلك، . وكان للنشاط التجاري العربي عبر الصحراء الغربية اثر كبير في لقاء العرب مع صنهاجة وايصال الاسلام اليها، بخاصة ان القوافل التجارية الصحراوية، كما سبقت الاشارة الى ذلك، كانت تمر بمراكز استقرار الصنهاجيين في الصحراء حيث تتزود بالماء والطعام كما ساهم الصنهاجيين قد اسهموا مع العرب في التجار مع بلاد السودان فعملوا كمرشدين وادلاء للقوافل التجارية المارة عبر صحرائهم كما فصلنا سابقا. اما فيما يخص قبائل صنهاجة نفسها، فقد استطاعت في القرن الثالث للهجرة / التاسع للميلاد ان تنظم نفسها في اتحاد صحراوي ضم عدد من القبائل الصنهاجية منها لمتونة ومسوفة وجدالة، وعهدت رئاسة هذا الاتحاد لقبائل لمتونة الصنهاجية. والذي يبدو من النصوص التاريخية الوسيطة المتوفرة لدينا ان الهدف من هذا الاتحاد هو حماية المصالح التجارية لقبائل صنهاجة. وفعلا نجح . هذا

الاتحاد من السيطرة على المركز التجاري المهم أودغست الواقع في نهاية الخط التجاري الصحراوي الغربي الذي يربط المغرب الاقصى ببلاد السودان الغربي، بعد ان كان تحت سيطرة مملكة غانة الاسلامية

اهتم اللمتونيون حكام مدينة أودغست في القرنين الثالث والرباع الهجريين / التاسع والعاشر الميلاديين، اضافة الى تنشيط حركة التجارة بين السودان والمغرب، بنشر الاسلام بين السودانيين المجاورين لهم من ناحية الجنوب. فالملك تين يورتان بن ويسفو بن نزار الصنهاجي كان شديد التحمس لنشر الاسلام بين السودانيين الخاضعين لسلطته، ويقال انه اخضع اكثر من عشرين ملكا من السودان لنفوذه . ولكن تفكك روابط الحلف بين صنهاجة ادى الى ان تنتهز غانة الفرصة وتبسط سيطرتها على أودغست مرة اخرى عام ٣٩٠هـ/ ٩٩٠م.

بيد ان القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي قد اتاح فرصة جديدة لقبائل صنهاجة الصحراوية، ومن بينها لمتونة، لان تبرز على المسرح السياسي والاقتصادي، وكانت هذه الفرصة قد تمثلت بالحركة المرابطية التي قدر لها ان تؤدي دورا كبيرا في امتداد الاسلام الواسع في السودان الغربي.

المرابطون الصنهاجيون:

ان الدفعة القوية التي ادت الى تقوية الوجود العربي وانتشار الاسلام الواسع بين شعوب افريقيا الغربية، ومن ضمنها السودان الغربي، تعود الى نجاح المرابطون في السيطرة على الصحراء الغربية والانتصار على دولة غانة الوثنية السودانية بل ان جيوشهم بلغت معظم مناطق السودان الغربي.

بدأت نشأة هذه الحركة فقد بدأت في زمن آخر رئيس للاتحاد الصنهاجي الصحراوي وهو يحيى بن ابراهيم الجدالي. فقد ذهب يحيى الى الحج في العقد الرابع من القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، وفي طريق عودته لقي في مدينة القيروان (مركز الثقافة العربية الاسلامية المهم في بلاد المغرب) احد اشهر الفقهاء فيها وهو "ابو عمران الفاسي". وفي محاضرة الفاسي في جامع القيروان شعر يحيى بن ابراهيم الجدالي بمدى الجهل الذي هو عليه وقبائل لمساعدة في تعليمه وقومه مبادئ الاسلام الصحيحة. ولما لم يجد الفاسي احدا من طلبته في القيروان يرغب في الذهاب الى الصحراء مع يحيى بن ابراهيم والقيام بمهمة الارشاد الديني فيها، اشار عليه بالذهاب الى بلاد السوس حيث يقيم احد طلبه ابي عمران الفاسي. وبعد وصول يحيى بن ابراهيم الى بلاد السوس (في المغرب الاقصى) التقي بوجاج بن زلوا اللمطي، وكان صاحب مدرسة دينية تدعى بـ " دار المرابطين " وطلب منه مساعدته بموجب توصيه الفاسي، فرشح وجاج احد طلبته وهو عبد الله بن ياسين الجزولي، ليكون معلما ومرشدا للصنهاجيين الصحراويين.

وصل عبد الله بن ياسين بصحبة يحيى بن ابراهيم الى مناطق قبائل جدالة الصحراوية في الصحراء الغربية، وبدأ عمله في الاصلاح الديني لبربر الصحراء. ولكن الذي يبدو ان تعاليم ابن ياسين كانت ثقيلة على القبائل الصنهاجية فرفضته ولكن ابن ياسين. استطاع بتوجيه من استاذه وجاج في السوس الثبات ومواصلة العمل. وتمكن اخيرا ان يجمع حوله اتباعا مخلصين وان ينعزل في جزيرة في ساحل المحيط الاطلسي. ونجح فعلا في ان يجمع حوله اكبر عدد ممكن من الصنهاجيين وسماهم " بالمرابطين " كما نجح وبصورة تدريجية في ان يكون منهم قوة ضاربة خرجت بحركة هجومية شملت مناطق واسعة من الصحراء الغربية، فاخضع جميع قبائل صنهاجة لسلطته، وارشدهم الى تعاليم الاسلام، وكان قائد جيشه في هجومه هذا هو يحيى بن عمر رئيس قبيلة لمتونة الصنهاجية .

ومما لا شك فيه ان مؤهلات ابن ياسين المتعددة مكنته من النجاح في عمله مع قبائل صنهاجة الصحراء. فقد كان اصلا من قبائل صنهاجة (من جزولة)، فهو اذن عارف بلغتهم وتقاليدهم مما سهل عليه امر التفاهم معهم، فضلا عن انه كان ذا طموح ورغبة شديدتين في الذهاب الى هذه المنطقة، مما ساعده على النجاح في خلق الحركة المرابطية.

في منتصف القرن الخامس للهجرة / الحادي عشر للميلاد بدأت الطموحات السياسية للمرابطين تظهر فعليا، حيث اتجهت القبائل الصنهاجية شمالا لتخضع المغرب الاقصى لسيطرتها. وفي الوقت نفسه استطاعت الدخول الى مدينة سجلماسة المركز التجاري المهم الواقع في بداية الطريق التجاري الصحراوي الغربي) والقضاء على سلطة قبائل زناتة فيها .

اما في الجنوب فقد استطاع المرابطون في عام ٤٤٧هـ/ ١٠٥٥م وبقيادة ابن ياسين الدخول الى مدينة اودغست (المركز التجاري المهم الواقع في نهاية الطريق التجاري الصحراوي الغربي) واخضاعها الى سلطتهم وانهاء هيمنة مملكة غانا الوثنية عليها، وقد كان خضوع اودغست مر أخرى للمرابطين بعد ان استعادتها المملكة الاخيرة يمثل الخطوة المهمة لدخولهم الى السودان الغربي . في الشمال استمرت عمليات المرابطين، حيث استطاع الجيش المرابطي بعد ان سيطر نهائيا على سجلماسة التوجه الى السوس والهيمنة عليه. وفي هذا الاثناء توفي يحيى بن عمر. فتولى قيادة المرابطين العسكرية اخوة ابو بكر بن عمر. توجه المرابطون بعد ذلك لمهاجمة قبائل برغواطة البربرية التي كانت تسيطر على القسم الغربي من المغرب الأقصى، وفي اثناء القتال معها توفي عبد الله بن ياسين ، فانتقلت القيادة السياسية الى أبي بكر ابن عمر | الذي نجح في القضاء النهائي على برغواطة، وقاد المرابطين من نصر الى نصر. وفي اثناء هذه الانتصارات وصلت الاخبار الى ابي بكر من الصحراء، بان نزاعا قد نشب بين

قبائل صنهاجة (بين لمتونة وجدالة)، فما كان من ابي بكر الا ان توجه ومعه نصف الجيش المرابطي الى الصحراء، تاركا قيادة المتبقي من الجيش المرابطي في الشمال لابن عمه يوسف بن تاشفين.

وفي الصحراء استطاع ابو بكر بن عمر القضاء على النزعات بين قبائل صنهاجة المختلفة. ثم بدا بقيادة حملات ناجحة ضد ممالك السودان الغربي.

ويعود الفضل الى ابي بكر قيادة المرابطين للقضاء على مملكة غانة السودانية عام ٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م، حيث وصلت جيوشه الى معظم مناطق السودان الغربي. ومن الجدير بالاشارة ان المرابطين لم يكونوا اول من ادخل الاسلام الى السودان الغربي، بل ان العرب المسلمين قد وصولا الى تلك البقاع منذ وقت مبكر مع القوافل التجارية الصحراوية كما سبقت الاشارة الى ذلك. ولكن سقوط غانة على يد المرابطين ادى الى انتصار الاسلام السياسي في منطقة السودان الغربي اولا، كما نجح المرابطون ثانيا في اجبار اسرة غانة السوننكية الحاكمة على اعتناق الاسلام وبالتالي الى قيام هذا الأسرة بنشر الاسلام بين الشعوب السودانية التي تحكمها، كما سنفصل ذلك فيما بعد. ولذا يمكن القول ان للمرابطين فضلا في عملية الاسراع في مهمة تحويل الزنوج في السودان الغربي الى الاسلام وبالتالي الى وصول الحضارة العربية الاسلامية بصورة واسعة الى تلك المناطق.

لا بد بعد ذلك كله كلمة مختصرة عن نشاط الجناح الشمالي للمرابطين، الذي استطاع تحت امرة يوسف بن تاشفين من اخضاع المغرب الاقصى كله ثم التقدم الى المغرب الأوسط، حيث وصل نفوذ المرابطين الى ما وراء مدينة الجزائر. كما ابتنى يوسف ابن تاشفين عاصمة للمرابطين هي مدينة مراكش فكان بحق مؤسس الدولة المرابطية ولقد اقترن اسم يوسف بن تاشفين بفتوحاته في الاندلس حيث استطاع ان يعيد الاندلس الى السلطة العربية، بعد ان كادت تتعرض للانهيار .

ولقد استمر اولاد ابن تاشفين هذا في جهودهم العسكرية في المغرب والاندلس لتوطيد وتوسيع رقعة سيطرة المرابطين واقامة دولة اسلامية قوية في القسم الغربي من بلاد المغرب. واستمر الحال هكذا الى ان ظهرت في منتصف القرن السادس للهجرة / الثاني عشر للميلاد حركة جديدة تدعى بـ " الحركة الموحدية " ضمت قبائل مصمودة البربرية المناوئة لقبائل صنهاجة ـ التي استطاعت اخيرا القضاء على الدولة المرابطة وتأسيس الدولة الموحدية واخضاع المناطق التي كانت تابعة لسلطة المرابطين الى نفوذها ومن ضمنها السودان الغربي. ولا بد من القول ان انتشار الاسلام في منطقة السودان الغربي قد أدى الى قيام دول اسلامية كبرى في المنطقة ادت دوراً كبيراً في تثبيت الاسلام والحضارة العربية والاسلامية في مناطق النيجر والسنغال، وسنحاول ان نلقي الضوء على هذه الممالك في الصفحات التالية.

كلية : الآداب

القسم او الفرع : التاريخ

المرحلة: الثانية عشر

أستاذ المادة : أ.م .د. نوفل حامد عبد الرحمن عمران الهيتي

اسم المادة باللغة العربية : انتشار الاسلام في افريقيا

اسم المادة باللغة الإنكليزية : Spread of Islam in Africa

اسم المحاضرة الثانية عشر باللغة العربية: الممالك السودانية واثرها في امتداد الاسلام في مناطق السنغال والنيجر

اسم المحاضرة الثانية عشر باللغة الإنكليزية: The Sudanese kingdoms and their impact on the spread of Islam in the regions of Senegal and Niger

محتوى المحاضرة الثانية عشر

رابعاً: الممالك السودانية وأثرها في امتداد الاسلام في مناطق السنغال والنيجر

١ ـ مملكة غانا الاسلامية

قامت في السودان الغربي في العصر الوسيط عدد من الممالك، كان عمادها زمن ازدهارها وقوتها الدين الاسلامي عقيدة، واللغة العربية في الادارة والثقافة والنشاط الاقتصادي. وكان لبعض هذه الامبراطوريات اصول وثنية غير انها بلغت الذروة والقوة في عهدها الاسلامي وقامت علاقات قوية ومتنوعة بين هذه المماليك وبين الدولة العربية الاسلامية، كما سادت فيها التقاليد العربية الاسلامية بعد ان استقر فيها عدد كبير من العرب والمسلمين واختلطوا بسكانها . كانت غانة اول حكومة سياسية في السودان الغربي. وقد بلغت ذروة عظمتها في القرن التاسع الميلادي الى منتصف القرن الحادي عشر الميلادي. وكلمة غانة على ما يبدو كانت في الاصل لقبا لحكامها، لكن الكتاب العرب استخدموا هذا الاس لاسم علما للدلالة على العاصمة وعلى الحكومة (*). وظلت هذه الكلمة مستخدمة كذلك منذ ذلك الحين. وكلمة غانة ليست لها اصول عربية، انما على ما يبدو كلمة سوننكية سودانية معناها " القيادة العسكرية "

اما عن الاصول السكانية لغانة، فهناك اساطير مختلفة حول اصولهم، منها ما ترجعهم اصلا الى وادي دجلة والفرات، لكن المعروف ان سكان هذه المنطقة هم من السوننك وهم فرع من " الماند " اي من مجموعة الشعوب السودانية المتكلمة بالماند والسوننك كانوا يقيمون اصلا في الحافات الجنوبية للصحراء ثم اندفعوا بعد ذلك جنوبا وهم فروع مختلفة اشتهرت باسماء مختلفة

ان معلوماتنا عن فجر تاريخ دولة غانة يكاد يكون نادرا، والموجود منه ليس من الدقة بحيث يمكن الاعتماد عليه. غير ان المعلومات تبدا في الوضوح والدقة منذ القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي، حيث بدا الكتاب العرب بتسجيل نصوص عديدة عن مملكة غانه.

كل الذي نعرفه عن اول حكومة قامت في غانة، يرجع تاريخها الى القرن الاول الميلادي ثم صارت ذات باس وسطوة خلال القرن الرابع الميلادي. والمتوافر في المصادر، ان حكامها كانوا من البيض البربر وربما كانوا يحملون اصولا شرقية والمعروف ان عدد ملوك اول اسرة حكمت غانه كان ٤٤ ملكا لا نعرف سوى اسماء اثنين منهم ولقب ثالث . وقد ظل ملوك هذه الحكومة يحكمون حتى عام ١٥٣هـ/ ٧٥٠م حيث نجحت اسرة سودانية من السوننك، في طرد اسرة البيض الحاكمة، وحكمت مطلع القرن الثالث عشر الميلادي، باستثناء المدة التي استوى خلالها المرابطون على غانة عام ١٠٧٦-١٠٨٧ . م. غانا حتى في عهد هذه الاسرة بلغت غانا ذروة مجدها واتساعها حيث يصفها ابن حوقل في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي بانها مملكة قوية وغنية ، حيث استطاع حكام غانة من السوننك توسيع حدود مملكتهم وجعلها امبراطورية. فقد استولوا على مدينة أو دغست عام ٣٩٠هـ/ ٩٩٠م وهي المركز التجاري المهم في حافات الصحراء الجنوبية، وعينوا حاكما سوننكيا عليها بدل حاكمها الصنهاجي، وظلت خاضعة الى نه حتى منتصف القرن الحادي عشر الميلادي دخلها المرابطون وانهوا حكم الحكم وثني في غانه عام ٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م، كما اشرنا أنفاً ومن البلاد الهامة التي خضعت لغانة مدن ولاته وكوغة وسامة وغيرها. والواقع ان مدى اتساع امبراطورية غانة ليس معروفا على وجه الدقة، لكن المحقق ان نفوذها كان واسعا بحيث امتد . الصحراء الى منطقة النيجر جنوبا وغربا الى نهر السنغال، وكذلك سيطرت على تجارة الملح والذهب بين بلاد المغرب والسودان الغربي اما عاصمة هذه الامبراطورية وهي مدينة غانه التي يرجع تأسيسها الى عام ٣٠٠م، فقد ازدهرت زمن حكومة السوننك الاسلامية، ويخبرنا البكري عن مدينة غانة بأنها تنقسم الى حيين أحدها للملك والآخر للمسلمين وان مبانيها كبيرة، حيث يقول: " مدينة غانة مدينتان سهليتان احداهما المدينة التي يسكنها المسلمون وهي مدينة كبيرة فيها اثنى عشر مسجدا احدها يجمعون فيه، ولها الايمة والمؤذنون والراتبون وفيها فقهاء وحملة علم، وحواليها أبار عذبة منها يشربون وعليها يعتملون الخضروات. ومدينة الملك على ستة اميال من هذه وتسمى الغابة والمساكن بينهما متصلة ومبانيهم بالحجارة وخشب السنط وللملك قصر وقباب وقد احاط بذلك كله حايط كالسور، وفي مدينة الملك مسجد يصلي فيه من يفد عليه من المسلمين... وتراجمة الملك من المسلمين وكذلك صاحب بيت ماله واكثر وزرائه ".

وهكذا نجد ان الاسلام كان قد انتشر في غانة ايام حكم السوننك السودانيين. بل نجد ان الوجود والتأثير العربي الاسلامي كان واسعا وعميقا في هذه المدينة. كما ان المسلمين كانوا يشاركون في الحياة الادارية والعامة لغانة.

غانة الاسلامية:

عرنا فيما تقدم ان الاسلام قد وصل منذ وقت مبكر الى مناطق السودان الغربي حيث حمله التجار والمهاجرون العرب منذ القرن الأول الهجري / السابع الميلادي. ان حقيقة ٬، الاسلام الى غانة لاول مرة امر يصعب البت فيه، ولا سيما ان المصادر المعاصرة اث غير موجودة، وفي هذا المجال لابد من الاشارة الى ان غانة كانت مركزا لتجارة الذهب، ولذا علينا القول من الممكن ان اتصال المسلمين بها كان منذ مبكر وقت. ويكفينا ان نعرف ان اول اشارة الى كون غانة مصدرا للذهب جاءتنا من القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي، حيث سجلها الفلكي العربي الفزاري ، وهذا يعني ان غانة قد شهدت وصول التجار العرب والمسلمين اليها منذ هذا التاريخ في اقل تقدير. اما في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي فقد كانت غانة معروفة للعرب المسلمين وقد ظهرت في خارطة الجغرافي العربي الخوارزمي . وعرف عن غانة آنها كانت على اتصال مع المراكز الاباضية في بلاد المغرب مثل تاهرت منذ القرن ٢ هـ/ ٨م، وقد وصل التجار الاباضية الى مناطق السودان الغربي ومن بينها غانة منذ ذلك الوقت المبكر . ولا بد ان تكون هذه الصلات قد فتحت المجال لانتشار الاسلام في تلك المناطق. كما كان لغانة اتصال بالمراكز الاسلامية الأخرى في بلاد المغرب كالقيروان؛ ولنا ان نذكر هنا ان عبد الله بن ياسين مؤسس الحركة المرابطية كان قد وصل الى مناطق الصحراء الغربية والسودان الغربي بتوجيه من احد علماء القيروان كما ذكرنا سابقاً. ولهذا نلحظ بسبب التأثيرات المتعددة، اعلن حاكم التكرور وارجابي بن رايس أسلامه في مطلع القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، ونجد ان هناك مجموعة من الغانيين كانوا قد اهتدوا الى الاسلام نتيجة لاتصالهم بالقادمين العرب المسلمين الى غانة .

هكذا دخل الاسلام الى غانة وانتشر بين أهلها، لكننا لا نستطيع القول أن تلك البلاد اصبحت كلها مسلمة، حكومة وشعبا في القرن ٥هـ/ ١١ م. والراجح ان اعدادا كبيرة من سكان غانة لا سيما التجار السودانيين وكل من اتصل بالعرب المسلمين قد اعتنقوا الاسلام منذ وقت مبكر. وفي النصف الثاني من القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي جاء المرابطون الى غانة لينهوا الوجود السياسي الوثني فيها، ولتبدأ معهم عملية نشر واسعة وعميقة للاسلام في غانة والسودان الغربي كله. ومما يؤكد لنا هذا الامر ما وصلنا عن الجغرافي العربي الزهري في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي،الذي يعد واحدا من مصادرنا عن انتشار الاسلام في غانة، حيث ذكر: " مدينة غانة.. واليها تدخل القوافل من بلاد السوس الاقصى والمغرب واهل هذه البلاد كانوا يتمسكون فيما سلف بالكفر الى عام ٤٦٩ هـ و ، وذلك عند خروج يحيى بن ابي بكر امير مسوفة واسلموا في مدة لمتونة وحسن اسلامهم وهم اليوم مسلمون وعندهم الماء والقراء وسادوا في ذلك. اتي منهم الى بلاد الاندلس رؤوساء من اكابرهم وساروا الى مكة وزاروا وانصرفوا الى بلادهم وانفقوا اموالا كثيرة في الجهاد .

وبهذا يعد الزهري عام ٤٦٩هـ/ ١٠٧٦ عاما حاسما في تاريخ غانة، ففي هذا العام وتحت تأثير المرابطين اصبح سكان غانا مسلمين. ان قوله هذا يؤكد لنا الفكرة القائلة بان الاسلام في غانة لم يكن واسع الانتشار قبل عام ٤٦٩هـ اي قبل دخول المرابطين، ولكن في الجانب الآخر من الصعب الاعتقاد ان كل الغانيين اسلموا بخطوة مفاجئة وكرجل واحد في عام ٤٦٩هـ ايام دخول المرابطين الى تلك المنطقة. والاحتمال الممكن ان الزهري اراد ان يشير الى ان الملك السوننكي وبلاطه قد اسلم،اي ان مملكة غانة اعلنت انتماءها سياسيا الى العالم الاسلامي انذاك.

ويبدو ان المرابطين لم يقفوا عند نشر الاسلام وامتداده في منطقة غانة و وحدها، بل كان لهم الفضل في اثارة روح الجهاد بين سكان تلك المنطقة من اجل نشرة في مناطق السودان الغربي الأخرى. ويكفينا ان نرجع الى نص الجغرافي السابق الزهري، حيث نجد فيه اشارة صريحة الى ما قام به اهل غانة من جهود واسعة من اجل نشر الاسلام والثقافة العربية الاسلامية في مناطقهم، لا سيما بعد ان تلقوا تعليمهم في المراكز الاسلامية المختلفة سواء في بلاد المغرب او الاندلس او مكة. لم يطل خضوع غانة سياسيا للمرابطين اكثر من ثلاث سنوات (٤٧١-٤٦٩هـ/ ١٠٧٦-١٠٧٨م)، ولكن تأثير هذه المدة كان كبيرا سواء من حيث امتداد الاسلام وتقوية العقيدة الاسلامية في السودان الغربي، ام من حيث ربط المنطقة بالعالم الاسلامي، يدلل على ذلك ما ذكره الادريسي في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، فهو حين يتكلم من غانة قائلا: " ان اهلها مسلمون وملكها فيما يوصف من ذرية صالح بن عبد الله الحسن بن علي بن ابي طالب وهو يخطب لنفسه، لكنه تحت طاعة امير المؤمنين العباسي"

وبذلك نستطيع القول أن شعب وحكومة غانة لم يصبحوا مسلمين فقط، وانما شعروا بانتمائهم وولائهم الى الخلافة العربية الاسلامية. كانت نهاية مملكة غانة سياسيا من السودان الغربي في مطلع القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي. ويمكن ارجاع عوامل انهيارها الى عامل طبيعي وهو الجفاف التدريجي الذي حل بالمناطق الواقعة شمال . حوض السنغال منذ القرن الخامس الهجري / الحادي الميلادي او قبل ذلك، وما سببه من هجرة الكثير من سكان المنطقة. اما العامل الثاني فكان الأكثر حسما وهو الغزو الحربي الذي تعرضت له غانة وما تبعه من ضعف المملكة وتفتتها باعلان الامارات الخاضعة لسلطتها استقلالها. ومن هذه العمليات الحربية استيلاء المرابطين على غانة وما تبعه من اضطرابات ادت الى اضعاف سلطة السوننك على الامارات التابعة لهم. ثم غزو الصوصو الوثنيين من قبائل الفولانيين السودانية في مطلع القرن ٧هـ/ ١٣ م، الذين كانوا قد تخلصوا من سلطة غانة في اواخر القرن ٦هـ/ ١٢م، حيث دخلوا عاصمة غانة عام ١٢٠٣م، مما اضطر سكانها المسلمين الى الهجرة الى مدينة ولاتة شمالا في حافات الصحراء الجنوبية، حيث اقاموا مركزا تجارياً فيها ازدهر بسرعة .

واخيرا جاء غزوا اخر كانت فيه نهاية مملكة غانة، وكان هذا في منتصف القرن ٧هـ/ ١٣م حيث استطاعت دولة مالي النامية بقيادة ملكها ماري جاطة دخول العاصمة غانة عام ١٢٤٠م وانهاء وجود الصوصو في المنطقة.

وهنا لا بد من كلمة مختصرة عن النظم الادارية والاقتصادية في مملكة غانة الاسلامية التي كانت النتيجة الحتمية لوجود المؤثرات العربية الاسلامية الى مناطق السودان الغرب كان نظام الحكم في غانة ملكيا سواء في عهدها الوثني او الاسلامي. ووراثة العرش لابن الاخت وكان سائدا في امبراطورية غانة الوثنية، ويعلله البكري، بتوفير اليقين في ان الوليد هو ابن امه وهذا صحيح، لكن من المعروف ايضا، ان لهذه الظاهرة اصولا ترجع الى التقاليد الوثنية القديمة وهي التي تعطي للمراة مكانة عالية عند اغلب القبائل الافريقية الوثنية الا ان هذه الظاهرة قد اختفت باسلام البيت الحاكم في غانة من القرن ٥هـ/ ١١م، وصار الابن هو الذي يرث العرش عن ابيه الملك.

كان ملك غانة ينظر في جميع شؤون الامبراطورية مهما كانت صحته ومقدرته ولياقته والامبراطورية مقسمة على عدد من الولايات او الممالك يحكمها حكام خاضعون لملك غانة ومع ان نظام الحكم كان يقوم على المركزية، الا ان بعض المقاطعات، كان الحكم فيها قد اصبح وراثيا في اسرة معينة، حتى اذا ما احست هذه المقاطعات الوراثية الخاضعة لغانة بضعف في السلطة المركزية بالعاصمة اعلنت استقلالها. اما طبيعة الموظفين في دولة غانة بما فيهم مستشارو الملك ووزراؤه وخازن بيت المال، فقد كانوا حتى في ايام الملك الوثني لدولة غانة، من المسلمين المهاجرين اليها من الشمال (بلاد المغرب) والمستقرين في غانة منذ وقت مبكر كما اسلفنا. ومن تقاليد الحكم في امبراطورية غانة، المجالس التي يعقدها الملك للنظر في المظالم بنفسه ومن الاوصاف التي وصلتنا عنها نجد ان الاثر الاسلامي واضح فيها . اما من ناحية القوة العسكرية فقد اشتهرت امبراطورية غانة بقوة جيشها وكثرة تعداده ويتكون في الغالب من القبيلة التي تنتمي لها الاسرة الحاكمة. وكان الجيش مسلحا تسليحا جيدا مما اكسبه قوة، واهم ما امتاز به هذا الجيش قوة فرسانة .

اما الحياة الأقتصادية في مملكة غانة، فالثابت ان اثرها وشهرتها قد اكتسبتها من ارباحها الطائلة. فموقع غانة جعلها حلقة اتصال بين بلاد المغرب وبلاد السودان، كما ان تحكمها في طرق التجارة المؤدية الى مناجم الذهب في جنوبها قد ادى الى غناها. اصبحت مدينة غانة اكبر سوق للتجارة في بلاد السودان زمن ازدهار امبراطورية غانة استقر فيها عدد كبير من التجار العرب والمسلمين القادمين من الشمال تحكموا في تجارتها. كما كانت غانة تصدر الذهب والرقيق والجلود والعاج والكولا والصمغ والعسل وكذلك القطن والقمح. وتستورد الملح والنحاس الاحمر والفواكه المجففة وادوات الزينة، وكانت هذه السلع توزغ من غانة الى جميع ارجاء بلاد السودان الغربي. اما فيما يخص البناء الاجتماعي، فكان السائد في امبراطورية غانة النظام القبلي، شأن غيرها من والممالك التي قامت في

بلاد السودان. غير ان قيام حكومة مركزية في غانة ساعد على اضعاف التناحر بين القبائل، كما ان الاسلام وتعاليمه كان اكبر عامل في اضعاف العصبية القبلية وان لم يمحها، فبفضل الاسلام والثقافة العربية الاسلامية اتصل سكان غانة بارقى الحضارات الانسانية المعاصرة انذاك وهي الحضارة العربية الاسلامية التي اثرت في كل نواحي الحياة فيها فاتصال العاصمة غانة بمراكز الثقافة العربية الاسلامية كان قد اثرى الحياة الثقافية فأصبحت اللغة العربية هي لغة العبادة والثقافة الى جانب كونها لغة التبادل التجاري، كما أقبل أهل غانة على مناهل العلوم والمعارف الاسلامية بحماس شديد وبرزت منهم مجموعات مثقفة كبيرة.

١-الحميري ، الروض المعطار
٢-ابن بطوطة ، لرحلة ابن بطوطة
٣-المسعودي مروج الذهب
٤-ابن حوقل ،صورة الارض
٥-القلقشندي .صبح الاعشى
٦-الشيخلي ، صباح انتشار الاسلام في افريقيا
٧-محمد عبد الله النقيرة ، انتشار الاسلام في افريقيا
٨-يوسف حسن ، انتشار الاسلام في السودان ووادي النيل
٩-جوليان ، تاريخ افريقيا
١٠- دوانالد ويدنر، تاريخ افريقيا جنوب الصحراء